



الثقافة

مجلة فكرية جامعة

تصدر في دمشق تأسست عام ١٩٥٨ م

مؤسسها ورئيس تحريرها

مطحة عكاش

ربيع آخر ١٤٢٢ هـ

تموز ٢٠٠١ م

الثقافة

أدبية فكرية جامعة

تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

مؤسسها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

FONDATEUR ET REDACTEUR

EN CHEF DE LA REVUE AL

THAKAFA

ص . ب . / ٢٥٧٠ /

هاتف : ٢٣٢٣٠٦١

دمشق

P.O. BOX: 2570

TEL_ FAX : 2320887

هيئة المستشارين :

د. عبد اللطيف اليونس

د. ابراهيم كيلاتي

د. أمين أسبر

د. عمر النص

د. سمر روجي الفصيل

أ. عبد الكريم ناصيف

أ. عبد الغني العطري

أ. جابر خير بك

أ. عصام الحلبي

أ. نعمان حرب

أ. محمد خالد القطمة

أمانة التحرير : سكينة عكاش الغبرة

شبكة كتب الشيعة

ربيع آخر ١٤٢٢ هـ

تموز ٢٠٠١ م



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

سم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

٣	عبد الغني العطري	المتنبى في مرآة شفيق جبري
٦	محمد موصللي	زقاق الدهر
٩	ناجح خلوف	مشكلات المثقف العربي ودوره في تقدم المجتمع
١٩	ياسر برازي	نهضوا وقد صدح الآذان
٢١	أحمد شوحان	محمد عدنان مراد بين الثقافة والدبلوماسية والرحلات
٢٨	د. محمد الحسواني	فزيدي النصر نصرا يا دمشق
٣١	د. محمد جمال طحان	حاسة السعادة عند عادل العوا
٣٥	وليد حجار	خمسون عاما ما انطفأت
٤١	محمد الزينو سلوم	دور الشعر في النضال الوطني حتى نيل الاستقلال في سورية..
٥١	غسان كلاس	اخشع يا زمان نفثات وطنية وجدانية
٥٤	أحمد حسن الخميسي	وقفه مع كتاب مساجد القيروان للدكتورة المهندسة نجوى عثمان
٥٨	راتب عبد الواحد	الرشد في المفهوم الإسلامي

المتنبي

في

مرآة

شفيق

جبري

بقلم:

عبد الغني العطري

لم أكن قد قرأت المحاضرات
الواحدة والعشرين، التي ألقاها شفيق
جبري على طلابه في كلية الآداب، خلال
العام الدراسي البعيد ١٩٢٩ - ١٩٣٠. ثم
جمع شملها في كتابه الرائع عن (المتنبي).
لم أقرأ هذا الكتاب لا لصدور طبعته
الأولى، فقد كنت دون سن المطالعة وفي
مرحلة الدراسة الثانوية، خيل إلي أن ما
نتلقاه على مقاعد الدراسة يكفي لإشباع
نهم الطالب الفتى من إبداع الشعراء
العشرة، أولئك الأعلام، الذين كنا ندرس
أعمالهم، كنماذج للأدب العربي في مختلف
العصور.

بعد السنوات الطوال من صدور هذا
الكتاب ورحيل صاحبه في العام ١٩٨٠، قام
الأستاذ العربي رؤوف جبري، شقيق أديب
الشام الراحل، بإعادة طبع كتاب (المتنبي).
وفعل مثل ذلك بسائر أعمال أخيه،
المخطوطة والمطبوعة. وأتيح لي في هذه
المرة، أن أقرأ هذا الكتاب، بكثير من
الروية والتأمل، فوجدت فيه من المتعة
والفائدة، أكثر مما توقعت وسمعت.

قبل كتاب شفيق جبري وبعده،
صدر عن المتنبي، أعداد لا حصر لها من
الكتب، والدراسات، بأقلام أدباء وشعراء،
في شتى أقطار الوطن العربي، غير أن
الدراسة التي نحن بصدددها، لا أحسب أن
واحدا ممن تناولوا أبا الطيب بالدراسة
والتحليل استطاع وضع خير منها.

وما هذا الفتى العربي، إلا أبو الطيب نفسه.

ويقول المؤلف في مكان آخر: إن المتنبي كان يباهر بكل شيء عربي، يباهر بلسان العرب، ويتيجان العرب، وبسببوف العرب، وصحبته هذه العاطفة الشريفة، حتى آخر نفس من أنفاسه الزكية. لما مدح ابن العميد في أرض فارس، وهناه بالنيروز، مرح فيه عروبية اللسان قبل كل شيء وقال:

عربي لسانه فلسفي

رأيه فارسية أعياده
وفي حكايا هذه الدراسة المتكاملة يقول شفيق جبري إن المتنبي كان كثير الإدعاء دائم الإشادة بنفسه، (كلمة أنا)، والثناء على النفس، تتردد في ثنايا شعره باستمرار: لنستمع إلى قوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

وأسمعت كلماتي من به صم

وكذلك قوله:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

وقوله:

أنا صخرة الوادي إذا ما ندهت

وإذا نطقت فإنني الجوزاء

ويصف نفسه بأنه المبدع لكل شيء

ويقول:

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله

إذ القول قبل القائلين مقول

وفي الحديث عن عبقرية المتنبي:

يقول المؤلف الكبير أن المتنبي ينظر إلى

محاضرات جبري هذه تتناول في تضاعيفها أحاديث سلسلة وشائقة.. عن وطن المتنبي، ونسبه، وعروبته. كما تحدث بأسهاب في موضوع دراسته. ونبوته، وحياته، وفلسفته، وملزمته لسيف الدولة الحمداني، طوال تسع سنوات. وتنتهي بالحديث الرائع عن عبقريته.

كل فصل من هذه الفصول، يتناوله المؤلف، الدراسة العميقة، والتحليل المركز، والشواهد التي يقطعها من هذه القصيدة أو تلك.

لنقف على سبيل المثال، عند من يشككون بعروبة المتنبي ووطنيته، ولنقرأ ما يقول المؤلف في هذا الصدد:

".. وما قولكم في شاعر يمر بشعب بوان، بأرض فارس، وهو من متزهات الدنيا، مشهور بحسنه وكثرة شجره، وتدفق أمواهه، وكثرة أنواع طيره؟ إذا أشرق المحزون من رأس تلعة

على شعب بوان استراح من الكرب تغنى به الكتاب والشعراء، فوصفوا فيه جداول ماء أرق من دموع العشاق، وأبرد من نفور الأحباب، ووصفوا ترقرق آذنيها، وتدفق تيارها، وتكسر حبابها، من خلال زهر الرياض.. ما قولكم في شاعر يصف هذا الممتزج ويقول فيه:

تلاعب فتنه لو سار فيها

سليماً، لسار بترجمان

ويخلص إلى القول مستدركا:

ولكن الفتى العربي فيها

غريب الوجه واليد واللسان

الحب، نظر الفيلسوف المحيط بدقائق هذا
الحب، فلا يكاد يخفي عليه أمر من أموره.
ينظر إليه نظر الفيلسوف، الذي يعلم أن
المرء يعيش عرضاً، من دون أن يدري
لماذا يعيش، ولكنه إذا عشق رحل عقله:
وما هي إلا لحظة بعد لحظة

إذا نزلت في قلبه رحل العقل
ويتناول جبري موضوع الوصف
والتصوير عند أبي الطيب.

ويقف ملياً عند وصفه للحصى ،
التي أحبته وزارته مراراً. ورغم أنها
تستحي، فلا تزوره إلا في ظلام الليل.
ويبذل لها المطارف والحشايا، فترفضها،
وتأبى الإقامة إلا في عظامه، وتجعل منها
مقراً ومستقراً:

وزائرتي كأن بها حياء

فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا

فعاقتها وباتت في عظامي
ويخلص المؤلف إلى الحديث عن
مذهب أبي الطيب في الوصف، فيقول:

"إذا برز المتنبي فإن تبريزه في
وصف المعارك، وإذا خلد فإنما يخلد من
هذه الناحية ومن ناحية الحكمة، فإذا كان
المتنبي شاعر الهجاء، فإنه شاعر الحكمة
والمثل، فقد بلا أخلاق الناس، وامتنح
الدنيا وعرض الحياة، فاستنيط من هذا كل
روائع الحكمة وسوائر الأمثل. فلا خوف
على خلود عبقريته، ما دمنا نحتاج في كل
عصر من العصور إلى شكوى الدهر والدنيا

والناس، وإلى الموعظة والاعتبار، وإلى ما
يجري مجرى هذه الأمور وأشباهها. لا
خوف على خلود هذه العبقرية، مادامت
العربية لغة كثير من الخلق، وما دام أهل
هذه اللغة يتمثلون بالأبيات التي تشتمل
على صور الحياة بمجامعها: كرمها
ولومها، وحلوها ومرها، وعزها وذليها،
وراحتها وتعبها، وخيرها وشرها، وأملها
وبأسها.

ويختتم كتاب المتنبي في طبعته
الجديدة بالقصيدة الرائعة التي ألغها شفيق
جبري في المهرجان الذي أقامته الجامعة
الأميركية في بيروت في حزيران من عام
١٩٣٥ إحياء لذكرى المتنبي. وتعتبر هذه
القصيدة من روائع شاعر الشام وأديبها
الكبير. وقد عبر فيها عن مبلغ إعجابه بـ
(مالك الدنيا وشاغل الناس) يستهل شفيق
جبري رائعته بقوله:

خضل الظل غضة أعواده

أرفيف الربيع أم أعياده؟
أتراه قصيدة في فم الدهر

ـ ر يغني شعرها أفراده
ويخلص إلى القول:

أيها الشاعر الذي ملأ الدنـ

يا دويلاً مآاته وولاده
كل نبت إلى الحصاد ولكن

شعرك الغض لن يحين حصاده
ويبلغ عدد أبيات هذه الرائعة سبعة
وستين بيتاً.

زعاق الدهر

محمد موصلي

يُومِيءُ الطَّرْفَ وَالْفُؤَادَ يَخُونُ
يَا لِسَهْمٍ تَنَنَ مِنْهُ الْعِيُونَ
كَمْ تَبَدَّى عَلَى لِسَانِكَ قَوْلُ
وَتَمَاهِي وَسَاوَرَتِكَ الظُّنُونُ
قَدْ جَفَاكَ الرِّقَادُ فِي كُلِّ لَيْلٍ
وَتَشَكَّتْ مِنَ السَّهَادِ الْجَفُونُ
إِنْ تَرَاعَى الصَّبَاحُ تَزْدَادُ حُزْنًا
حَيْثُ يَهْفُو إِلَى الْحَزِينِ الْحَزِينُ
يُبْحِرُ الْخَوْفُ فِي جَفُونٍ فَقِيرٍ
قَدْ تَلَوَّى وَأَرْهَقَتْهُ السَّنُونُ
وَيَمُوتُ الْأَتَمُّ فِي الصَّدْرِ حِينًا
وَيَلْفُ الدَّمُوعَ صَمْتٌ دَفِينُ
مَنْ أَرَادَ الْحَيَاةَ مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ
مَا عَلا فِي فُضَائِهِ الشَّرِبِينُ
كُلُّ جَذَعٍ يَمْدُ فِي الْأَرْضِ جَذْرًا
وَأَشْرَأَبَتْ مَعَ السَّنَنِ الْغُصُونُ
هَلْ تَنَاسَى الْوُدَادَ إِلَّا حَقِيرُ
أَلْفَ الْوَحْلِ وَاحْتَوَاهُ الطَّيْنُ

يتجنّى على المروءة نذل
 كل شيء بما لديه يهون
 رضع العهر من ضريع وصارت
 بين قوديه تسطيل القرون
 يعرف الثقل من هريز وشوق
 واصفرار ينم عنه الجبين
 كم صديق تورم الغدر فيه
 سخ منه الصديد والغسلين
 بطأ الصدر والرغائب دهر*
 أسحم الوجه واليدين حرون
 أسبل الشوك فوق رأسي وصارت
 في نوامي الفؤاد تنمو الشجون
 تحست ندف الصعاب أحمل جرحاً
 قد يلين المحال حين يلين
 كم أظاح الصواب يوماً بعقل
 وتسامى بغوته المأفون
 لم تنادي الخراف بالذبح يوماً
 أو تخلّت عن طعنها السكين
 لا تكن في الحياة إلا قوياً
 يركب البحر إن علاه السكون
 يصبح الرأي للحليم عقاباً
 حين يطفى على العقول الجنون

إن للحق صولةً حين يصحو
 من رقابٍ وبصرخ المسكين
 حين يصهو الزمان يعبث جفد
 فاغر الشذق أحرق رهـدون
 لي على الأفق من ندائي أعاصير
 ومزنّ مع الرعود هـتون
 انظري كيف طوقتني رمال الشـط
 شوقاً وصفق الدلفين
 انظري كيف عانقتني أزاهير
 البراري وغرد الحسون
 راقبي مسح الأفـاعي على كل
 دروب مثيراء فيها المنون
 مضجعي فوق صخرة ألبدت في
 القفر واجتاح عريها كانون
 سخرت من غارق الخـز يرتاح
 عليها مختبئ عنيـن
 ما حذاري إذا العقارب سارت
 وحذاري متى وأين تكون
 لن يُذل التراب مادام يحيوي
 في ثناياه صادق وأمين

لو رَجِعْنَا بأفكارنا إلى بداية
النصف الثاني من القرن العشرين، أي لعام
١٩٥٠، حيث كانت الحرب العالمية الثانية
قد حطت أوزارها، وقد تأسست هيئة الأمم
المتحدة، التي تعهدت بميثاقها معالجة مشاكل
الدول بطريقة سلمية، منعاً لتكرار الحروب
والويلات. ثم صدر الإعلان العالمي لحقوق
الإنسان، الذي ساوى بين الناس في الحقوق
والواجبات، وبين الأفراد ذكوراً وإناثاً،
بغض النظر عن الجنس واللون والعرق،
واللغة والأقليم والقومية وما يتبع ذلك..

لو رَجِعْنَا إلى ذلك الميثاق
والإعلان، لَقَلْنَا وخاصة في تلك الفترة حتى
أواسط السبعينات، لقد نزلت العدالة من
السماء إلى الأرض، ودخلت المسرة قلوب
الناس، وساداً على الأرض السلام. إنه
عصر الإنسان الجديد المتحضر، عصر
انتصار الفلسفة الإنسانية، عصر الحق
والعدل والسلام.

نعم هكذا ظنُّ أكثرُ الفلاسفة
والمصلحين والسياسيين والجماهير الشعبية
أيضاً، فاستبشروا خيراً، وهللوا للتحررِ
والحرية والديمقراطية، وأملوا بعهدٍ جديدٍ،
سيجعل من الإنسان قيمةً علياً لا تدانها قيمة
أخرى، وسيصبحُ العيشُ رغداً والحياةُ
جميلةً، ويعمُّ النعيمُ والرخاءُ العالمَ، حيث
ينتفي العذابُ والألمُ، وتلغى كلمة الحروب
من القاموس. كان كل يومٍ تطلعُ فيه الشمسُ
تتقدمُ البشريةُ خطوةً نحوِ النورِ والتقدمِ
والحضارة. وعم التناولُ الناسَ جميعاً،
وكانهم خرجوا من كهفِ أفلاطون المظلم

مشكلات

المثقف

العربي

ودوره في

تقدم

المجتمع

بقلم المحامي:

ناجح خلوف

إلى النور، فرؤوا الحقيقة بأجلى معانيها. وهكذا كان شعورهم.

ولم يكن يخطر ببال أحد من هؤلاء الناس، أن أياماً سوداء قادمة، تحمل معها ما هو أشد من الحرب، تحمل الطاعون وتطفي الشمس، تخف ضوء القمر وتذل وتقل البشر دون حساب، كما حدث في أواخر القرن العشرين، وهو الآن مستمر بوحشية شرسة ولا يزال في فلسطين والعراق ويوغسلافيا وأفغانستان، وفي دول أخرى كثيرة.. فالويل والثبور وعظائم الأمور لأبناء البشرية جمعاء من الغول الأمريكي، ومن يماشيهِ، والذي لم يكن انتصاره بالحُساب، ولم يكن أحد يتوقع منه كل هذه الشرور التي يوقعها في العلم، وخاصة بشعوب العالم الثالث المستضعف. ذنب يأكل شاة..

إني أوجه كلامي إلى المتقف العربي، الذي يعتبر حادياً للجماهير العربية وقائداً لمسيرتها، وموجهاً لها، وهو الدليل العاقل الذي يعرف أكثر من غيره سواء السبيل، من أجل النهوض بأمته وشعبه ووطنه نحو مصاف الأمم المتحضرة. فبالعلم وحده ترقى الشعوب وتتقدم الأمم. قال الشاعر:

بالعلم يرقى كل شعب للعلا

وهو الركيزة للحضارة في الأمم
إني أتناول في هذا المقال مشكلات المتقف العربي، ودوره في تقدم مجتمعه ولتوضيح هذا الموضوع لا بد أولاً من تعريف معنى الثقافة، وكيف يصبح الإنسان

متقفاً، وما هو الهدف من ذلك وحاجته إليها؟ وكيف يستفيد من ثقافته ويسخرها من أجل مصلحته، ومصلحة الوطن والإنسانية؟ وما هي العوائق التي تعترض طريقه في سبيل تحقيق تلك الأهداف، وكيفية التغلب عليها، ليؤدي رسالته، ويقوم بمهمته في سبيل مجتمعه؟ والسير به نحو العلم والحضارة والعصرنة، ليساهم في بناء مجتمع حديث، وحضارة راقية، تكون فخراً لأمته، ومجداً لوطنه.

المتقف لغة: هو الإنسان الذي يجيد الكلام، ويحذقه ويفهمه بسرعة، وهو المتمكن من العلوم والفنون والآداب (هذا ما جاء في معجم المنجد).

أما الثقافة فهي مادية وروحية، فالثقافة المادية هي جملة الخيرات المادية ووسائل انتاجها، والثقافة الروحية هي كافة أشكال الوعي الاجتماعي من فلسفة وعلم وأخلاق وفن وحق، وما في حكم هذه المفاهيم.

والمتقف الحقيقي هو الذي يدرك ويفهم حقائق القوانين التي تتحكم في عالم المادة والمجتمع والفكر والسياسة، ويعمل على التأثير فيها من أجل التحكم بها وتغييرها والسير بها لصالح الإنسان، كفرد ومجتمع ودولة، ومن أجل الإنسانية وسيادة الحق والعدل والخير والسلام، لمصلحة هؤلاء جميعاً.

والمتقف - ايضاً - هو الذي يقول (نعم) للحقيقة و (لا) لغيرها، هو المخلص لمبدئه ولمنظمته السياسية والاجتماعية،

والذي ما ينفك ينفذها باستمرار، لينقيها من كل شائبة تشوبها أو عيب يصيبها، لأنه بانتقاده لها يطورها وينضجها ويكملها، ويحافظ بذلك على حريته تجاهها، لا أن يبقى عبداً لها يؤذيها بشكل مطلق، وفي كل حين وباستمرار، فيصبح ذا عقلية متحجرة، متخلفة عن الحقيقة التي تتمو باستمرار، كشجرة خضراء وارفة الظلال. وإذا لم يضع المثقف نفسه موضع محاكمة كما يحاكم الناس، فليس هناك من حرية أبداً.

وبقدر ما يحصل المثقف من معرفة في تلك الميادين وبقدر ما يمارسها ويطبقها، يقدر ما يحقق أهدافه وغاياته، وكلما اقتربت الممارسة من النظرية كلما تجلت الحقيقة، وكان تأثيره كبيراً ومفيداً وناجحاً، ويقال عند ذلك مثقف حقيقي بارز وعظيم.

كيف يصبح الإنسان مثقفاً؟

يولد الطفل صفحة بيضاء، لا يحمل شيئاً من العلم والثقافة، لكنه يحمل استعدادات وقوى تختلف من طفل إلى آخر نتيجة الوراثة، والعوامل الأخرى المكتسبة التي تؤثر فيها الظروف بدءاً من تلقيح البويضة مروراً بظروف الحمل ثم الولادة، ثم يأتي دور الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع الكبير. وهكذا يبدأ تكوين الإنسان جسدياً وعقلياً، فيتعرف إلى أمه وأبيه وأخوته ثم أقربائه فأبناء محيطه.. فيتعلم اللغة أيضاً، بدءاً من بساطتها حتى آدابها، وكذلك العادات والتقاليد وما إلى ذلك من أمور كثيرة تؤلف شخصيته إلى أن يكتمل نموه، ويبلغ الرشد، ضمن هذه الظروف

تتبلور تلك الشخصية وتتميز أيضاً عن غيرها، وهكذا كل فرد من أفراد المجتمع ينفرد بشخصية تختلف عن الأخرى للأسباب المذكورة، وإن تشابهت شخصيات مجتمع معين، فهي تختلف في كثير أو قليل عن شخصيات مجتمع آخر. فالعربي شخصيته المميزة عن شخصية الأفرنسي والروسي والأوسترالي، نظراً لاختلاف مزايا تلك المجتمعات بعضها عن بعض وهذا أمر طبيعي.

وهكذا يبرز دور الأسرة في تربية أبنائها، ثم تشترك المدرسة في ذلك وذلك للمناهج المدرسية وللمعلمين والمربين والمواضيع والبحوث التي تدرس، فهي كلها تلعب دوراً أساسياً في تثقيف الإنسان، وللجهود الفردي - لكل شخص - دور هام جداً في تكوين ثقافته وشخصيته المميزة.

والمثقف يستفيد من ثقافته في خلق شخصية متميز ومتزنة وعارفة، فينعكس ذلك في سلوكه الخاص والعام، ومع الناس بصورة إيجابية، ويكون قدوة للآخرين، ولأبناء مجتمعه ووطنه، فيساهم في نجاحه وتقدمه.

وهؤلاء المثقفون، وحدهم مسؤولون عن قيادة الوطن، ومصلحة الأمة والقومية، وهم خط الدفاع الأول عنها، وعن قيمها ومثلها ومجدها، فإن كانوا مثقفين حقيقيين - كما ذكرت - تقدم الوطن وازدهر، وإن تخالزوا عن مهامهم وانحرفوا عن سواء السبيل، وكان مصير الأمة التخلخُل

والضعف، والقهر والذل وربما الزوال.. فقد زالت أمة كثيرة عن وجه الأرض، وتكونت أمة كثيرة أيضاً.

ربما يعترض المتقف على ما حملته من مسؤولية. قائلاً:

إنّ مُسَلِّمَ بكل أقوالك، وما جئت به من تحليل، ومقدمات وما أسندت إليّ من مسؤولية، لو لم تكن هناك مشكلات جمّة كثيرة، تقف في سبيل القيام بالدور الرائد، والحرية والديمقراطية، وما إلي ذلك، لكن الصعاب لا تحصى ولا تعد، كلها تحول دون الغاية المرجوة، أو على الأقل تنبسط الهمة دونها وإنني سأوضح أهمّها:

- فسيادة النظم الاستبدادية في البلاد العربية - إلا أقلّها -، فعلى رأس كل نظام حاكمٍ أحدٌ مستبدٌ، له الكلمة الأولى وأخيرة.

فهو يرى نفسه مميزاً عن أبناء شعبه ولا يقدر القيم الإنسانية، جاء إلى الحكم غصباً عن إرادة الشعب، وجبراً عنه، أما بالقوة، أو بالمرأوة والاحتيال، وفي كل الأحوال يأتي بالقوة مهما تكن الأساليب، ومهما تعددت الطرق والشكليات، وبالتالي فإنظمة القوة هي سريعة الغاب، التي تناساها العصر، وأصبحت لدى أكثر أمة الأرض تراث الماضي البعيد، فقد عرقت الشعوب الحية - كاليونان مثلاً - الحكم الديمقراطي قبل الميلاد، وجاءت الثورة الأمريكية والفرنسية فنشرت مبادئ الحق والعدل والحرية والمساواة في أقطار الأرض، وسادت الحرية والديمقراطية لدى أكثر شعوب العالم، بينما لا تزال أنظمة الحكم

العربية تغطّ في نوم عميق، وفي جهل وظلام دامس، بعيدة عن تلك المفاهيم المتحضرة - فإنظمة محرفة عن مضامينها، جمعيات وإحزاب مفرغة من محتوياتها أسماء دون مسميات، وهي لا تتجاوز العناوين والكلمات، ولا أثر ولا مفعول لها في واقع الحياة، كلها تؤيد النظام الذي تعيش فيه.. وهي من صنعه أيضاً، وكلها تقسّد الحكم وتغني وترقص وتطبل له، ولو كان في ذلك حثفها ويصدق فيها قول الشاعر معروف الرصافي:

علمٌ ودستورٌ ومجلسٌ أمةٌ
كل عن المعنى الصحيح محرفٌ
اسماءٌ ليس لنا سوى ألفاظها
أما معانيها فليست تُعرفُ
وحال حكّامها - بعد تحررها من
الاستعمار - ليس جيداً

وظلمٌ ذوي اقربى أشدّ مضاضةً
على المرء من وقع الخسام المهند
والويل والثبور وعظائم الأمور، لو أبدى متقفٌ رأيّه، أو تكلم بما يعتقد به، أو لو أصدر حزبٌ ما بياناً، ولم يكن فيه غناء له في كل مقطعٍ منه، فالاعتقال مصيره، والسجن مأواه، ناهيك عن دغس كرامته وازدراؤه، وربما يأخذ السيف طريقه إلى عنقه. إن تصفيات الثوار في الوطن العربي ليست قليلة. وكل ذلك تقوم به الأنظمة العربية باسم الحق والعدل والعروبة والوطن - والحق منه براء - ليبقى الحاكم على كرسيه، لا يفسح المجال لغيره، ضارباً عرض الحائط بالشعب ومصالحه، بل

محبتراً شعبه كل الاحتقار، لا يعتبره ولا يثق به، ولا يستشير في صغيرة أو كبيرة، ولا يقيم لوجوده وزناً. فليس هناك من أحد غيره.

والأنظمة الحكم هذه مؤسسات كثيرة، قام هو بتأليفها، كال دستور والقانون والأنظمة الأخرى، جعلها جميعاً تعمل لمصلحته، ومن أجل بقائه وديمومته وسخر لها جميع وسائل الإعلام من (تلفزيون وإذاعة وصحف ومجلات، وجميع وسائل الدعاية الأخرى) التي لا تحصى ولا تعد. وإن كل من يخالف شرائعه يوصم بالندالة والخيانة والباطل باسم الحق! فكيف تحملي يا أخي مسؤولية قيادة المجتمع وتقيفه، ودفعه نحو التقدم والعصرية، وأنا المتقف فقير الحال مدقعا، باع أهلي كل ما يملكون حتى تعلمت وتنفقت كي أعيل نفسي، وأرد لهم بعض الجميل؟ وكيف أدفع بنفسي إلى التهلكة المؤكدة؟!

وان اقتنعت بأقوالك وضحت، فمن يكون لأمي الثكلي، ولزوجتي الأرملة، ولأولادي اليتامى؟ وفي أبسط الأحوال وإذا تفاعلت واكتفي بسجني فقط بالأ يكون مصيري مصير الشاعر الحطينة عندما القاه الخليفة عمر في السجن؟ حين استعطفه، وأرسل له تلك القصيدة التي قال له فيها:

ماذا أقول لأفراخ بذني مرخ

ذغب الحواصل لا ماء ولا شجر

القيت كاسبهم في قعر مظلمة

فاغفر عليك سلام الله يا عمر؟

ولكن ليس كل متقف شاعراً، وليس

كل حاكم عمراً

اضف إلى كل ذلك أو تحسب كل المتقنين؟ وغايتهم فقط مصلحة الأمة والشعب والوطن والإنسانية؟

إنني سأعرض عليك وجهة نظري في كثير من المتقنين، الذين يحسبهم أكثر الناس هكذا، إن هؤلاء أكثر الناس عداوة للشعب، وتحيزاً وتملقاً تلك الأنظمة الجائرة، ولسادتها الظلام، وهم مع الحاكم الظالم المستبد ضد الأمة والوطن والشعب. هؤلاء هم عبيد تلك الأنظمة وحراسها الأوفياء يضعون كل ثقافتهم وعلمهم وخبراتهم في خدمة أسيادهم الحكام، لا من أجل الشعب، بل من أجل تلك الأنظمة ولبقائها واستمرارها. فيزينون سلوكها ويعصمون تصرفاتها، فتغدو وكأنها الحكمة بذاتها، والحقيقة خالصة نقية صافية، غايتهم البقاء في مناصبهم وعلى كراسيهم، متطلعين باستمرار نحو المراتب العليا، متسابقين إليها، غير عابئين بمصالح الأمة والوطن، ولا يعرفون معنى الإنسانية إلا بالكلام الكاذب. هؤلاء كثيرون جداً، وهم أخطر عدو للشعب والوطن.

فلو تذكرنا أن الاستعمار بأشكاله المختلفة ما حكم بلداً إلا بأبناء ذلك البلد المتلقين، وهم المتقنون الذين أحدث عنهم، فتصوروا لو لم يتعاون هؤلاء مع المستعمرين لما استطاع حكم أي بلد في العالم.

ألم يحرر (المهاتما غاندي) الهند بالكفاح السلمي، وبمقاطعة الهندو للمستعمرين الإنكليز، ورفض التعاون معهم

وعدم شراء بضائعهم، وكان اللا عنف اسلوباً ناجحاً.

نعم هكذا تحررت الهند. وكان نضالها طريقة جديدة ومفيدة.

فلماذا لا نفعل هكذا مع العدو الإسرائيلي؟

- ماذا أقول عن المتقنين الانتهازيين المتملقين، الذين يصلون إلى السلطة بما يملكون من مواهب الدهاء والرياء والكذب والتمثيل؟

يقول عالم الاجتماع (عبد الرحمن بن خلدون) في مقدمته المشهورة: (في أن السعادة والكسب إنما تحصل غالباً لأهل الخضوع والتملق) ..

إن سبب ذلك هو أن الجاه - السلطة - يفيض المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس إليه بأعمالهم وأموالهم، ويدفع المضار ويجلب المنافع .

وقد اشتهر بين الناس أن الكامل في المعرفة محروم من الحظ، وبالتالي يرتفع كثير من المرتزقة إلى أعلى المراتب بسبب ذلك، فتضعف الأمة ويتخلف الوطن ويؤذن بالخراب.

وقال شتيرنر الألماني: (حفنة من القوة خير من كيس من الحق) .

وقال الشاعر (روجر شام) : (إن الغش والكذب والنفاق والمداينة أمور أربعة لا بد منها للوصول إلى الفضيلة والنعمة، وإذا كنت مجرداً من هذه الصفات الأربع فالأولى بك أن تعود - أيها الأخ الطيب - إلى بيتك) .

- وهناك صنف من المتقنين بعيد عن الشعب، فلا يخالطه ولا يعرف ظروف حياته وعيشه، متعالياً عليه، رافعاً أنفه، يمشي في الأرض كبرا وصلفاً، معتدّاً بعلمه وتقافته حتى أصيب بالخيلاء، يحسب نفسه ذا دم أزرق مميز كما يظن الصهيوني والنازي نفسه فهو أرفع مكانة، إن هؤلاء المتقنين لا يقدمون شيئاً مفيداً للناس، ولا للوطن أيضاً ، وهؤلاء مكروهون من الناس ومبغضون، بعيدون عن قلوبهم يشوهون سمعة المتقنين الحقيقيين ويسوئون إليهم بما فيهم من عيوب، كما هم عليه بعض اصحاب المهن العلمية الحرة عندما يخونون رسالتهم المهنية والانسانية المقدسة ويستغلونها خلاف ما هي عليه، بالكذب والنفاق وسرقة الناس زوراً وباطلاً وأفكاراً.

- وكما من المتقنين يفعلون خلاف ما يقولون، فينادون بالحرية والديمقراطية والعدل والحق والمساواة وما إلى ذلك، من قيم ومثل عليا، وعندما أوصلتهم ظروفهم إلى سدة الحكم انقلبوا على كل هذه القيم، ولبسوا رداء السلطة التي كانوا ينتقدونها، فانفردوا بالحكم، والتسلط والظلم، همهم السلطة وجمع المال بأية وسيلة كانت، مطبقين القول الشهير (الغاية تبرر الوسيلة) متكررين لمبادئهم وعقائدهم، وللشعب الذي كانوا ينادون باسمه ومن أجله. هؤلاء هم المنافقون، الذين يفعلون خلاف ما يقولون. إن الشعب لا يثق بهم، ولا يحترمهم وقد يفقدونه احترام المتقنين الحقيقيين عندما لا يستطيع التمييز.

- وللبعض المتقنين آراءً مترددةً ومزدوجةً، بل ذات وجوه كثيرة، فهم لا يثبِتون عند رأي أو نظرية أو مبدأ، حتى بالنسبة للخطوط العريضة، فيقلب اليساري يمينياً، والمادي روحياً، والصادق كاذباً، والمستقيم أعوجاً والاشتراكي رأسمالياً، وقس على ذلك.. هؤلاء هم الانتهازيون الأنانيون، يميلون مع النعماء كيف تميل، إنهم لا يصلحون لقيادة المجتمع، وكأنهم لم يقرؤوا سير المناضلين أمثال (غيفارا وديميتروف وماو وغاندي) وغيرهم ممن ضحوا بأرواحهم من أجل وطنهم أو قرؤوا ولم يلتزموا، فبئس معرفة بلا عمل ولا التزام.

- ومتقنون آخرون آثروا البقاء وراء مكائبتهم وأمام مكائباتهم، يقومون بدراسة الكتب حسب اهتماماتهم واختصاصاتهم، ثم يقومون بتأليف الكتب، فيتعسروا بطبعها ونشرها، فلا تصل إلا إلى قلة من الناس لأسباب كثيرة، من ضعف القدرة الشرائية لدى المتقنين، وغلاء الكتاب وربما الاستغناء عنه بسبب تقدم الاتصالات الحديثة وعصرنة الأعلام، وما يقدم من ثقافات ومعلومات سهلة المنال أكثر من المطالعة والدراسة في الكتاب.

وإن المؤلفين والناشرين يعرفون تفاصيل ذلك تماماً. فالتلفزيون والمذيع والأنترنت وغيرها.. تقدم معلومات ببس وسهولة، وبالتالي فلا يقتني الكتاب إلا القليلون، وقد يحجم الكثيرون عن

طباعة ونشر مؤلفاتهم، فتذهب ثقافتهم سدى دون أية فائدة.

- وفريق آخر من المتقنين يغلب عليه الخوف من ملاحقة السلطة له ومعاقبته على ابداء رأي، بما تملك من وسائل كثيرة، وإذا كان موظفاً فقد تحرّمه من لقمة عيشه بتسريحه، فيتعطل عن العمل، وقد تصل العقوبات للمعارضة في بعض الدول إلى التصفية الجسدية، وهو يرى كل ذلك ويسمع، فيؤثر السلامة والأمن على أن يصدر كتاباً فيه حقه، أو سجنه على الأقل، أو النيل من كرامته، كما حدث لكثيرين من المفكرين والأدباء والكبار.. فماذا ينفع المرء لو ربح العالم وخسر نفسه.

- وماذا أحذرك يا أخي! عن المتقنين الذين ملأت عقولهم بالخرافات والأساطير، وأصبحوا يتعاملون مع الأبراج والحكايات؟ وتمسكوا بعادات قديمة جداً عفى عليها الزمن، ولم تعد تصلح لهذا العصر وتلائق المنطق، وقوانين العقل، وهم رغم ذلك يتمسكون بها ويقولون: لا حضارة ولا تقدم دون الاعتماد عليها، وإذا ناقشتهم أخرجوك عن كل القيم والمثل والأخلاق، إلى درجة احلال سفك دمك.

- وكمن من المتقنين نقلوا نظريات وثقافات غريبة وشرقية فشوهوها بالنقل والتفسير والتطبيق، بدلاً من جعلها تلائم أوضاع أقطارهم فأعطوا صورة مشوهة عن تلك النظريات والمفاهيم العصرية والحديثة، كالحرية والديمقراطية والاشتراكية والمادية وأمثالها، فأبعدوا الناس عنها، بل كرهوها

بها. فإن بعض الأنظمة العربية التي أخذت بهذه المفاهيم، لا سيما الاشتراكية أوحث إلى الشعب بأن تطبيقها سيحقق العدل والمساواة والحرية والكفاية للجميع، ولكن الواقع لم يكن بمستوى النظرية - وإن أصابت نجاحاً - فاستغل أعداؤها نقطاً ضعفها.

وأود أن ابدى ملاحظة أخيرة، فقد أظلت في تعداد المشكلات والعراقيل التي تقل من عدد المتقنين الحقيقيين، أو التي تنهيه عن القيام برسالتهم الحقيقية. أقول:

إن لا أحداً من الناس ولا من الشعب أيضاً كلف المتقن، أو حوله أو أناط به تلك المسؤولية التي حملتها له، كما أن السلطة لم تكلفه بذلك ولم يوكله أحد بتلك المهام، فكيف يوكل نفسه دون إرادة هؤلاء؟! وإذا تصوف ونجحت نظريته أو رأيته فلا ينسب إليه، بل يتجاهل معاه وكأنه غير موجود، ولا علاقة له بذلك. وهذا هو البؤس بعينه، والتكرار للجميل.

فما العمل؟! وما هو الحل؟!

إن ما أبديته يا أخي من ملاحظات حول المشاكل التي تعترض طريق المتقنين وحول شخصياتهم المتعددة وميولهم المختلفة، والأسباب التي تحرفهم عن تأدية رسالتهم أصابت كبد الحقيقة، وهي فعلاً عوائق تقف في سبيل تحقيق غاياتهم وآمال شعوبهم، وهي أشبه بالألغام القاتلة المزروعة في طريقهم، تمنعهم من قيادة أوطانهم نحو التقدم والحرية والعدالة.

ولكن - يا أخي! - مهما كانت الصعاب والعقبات التي ذكرتها، والتي هي

صحيحة تماماً، يجب ألا تقف عثرة في سبيل ممارسة دورهم القيادي لمجتمعاتهم بقدر ما يستطيعون، وضمن الهوامش المتاحة لهم، متحملين ما يمكن تحمله من أخطار، من أجل مستقبلهم ومستقبل أولادهم وأبناء أمتهم. فالمتقنون هم خط الدفاع الأول، خط الدفاع الحقيقي، فإن لم يقفوا في ذلك الخط فمن يقف غيرهم؟ وإن تراخوا عن أداء رسالتهم فمن يا ترى يأخذ مكانهم؟! إننا نعلم تماماً أن الغرب لم يتقدم إلا باعتماده على العلم والشعب الحر، وإن ما من بلد تحرر ونال استقلاله إلا على دم الشهداء، وإن باب الحرية لا يستطيع فتحه إلا الشهيد، والمتقنون هم شهداء العلم والحق والتقدم والحرية.

وإذا كان هم المتقن كسرة الخبز، وارضاء النظام الظالم، فعند ذلك يصدق فيه قول الشاعر الكبير نزار قباني، الذي اعتبر الشاعر علي رأس المتقنين قال:

نرفض الشعر أن يكون حصاناً

يمتطيه الطغاة والأقوياء

ما هو الشعر؟ إن غدا بهلوانا

يتسلى برقصه الخلفاء

ما هو الشعر؟ حين يصبح فأراً

كسرة الخبز.. همه.. والغذاء

وإذا أصبح المفكر بوقاً

يستوى الفكر عندها والحذاء

يصلب الأنبياء من أجل رأي

فلماذا لا يصلب الشعراء؟

فلا بد للمتقن العربي، وضمن الظروف القاسية التي يعيشها، ومهما

صعبت، من أين يمارس دوره متحملاً
المشاق، مناضلاً عنيداً من أجل شعبه
وطئته والإنسانية متمثلاً قول المتنبي:
قِفْ دُونَ رَأْيِكَ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِداً
إِنَّ الْحَيَاةَ عَقِيدَةٌ وَجِهَادُ
فَعَلَى الْمُتَّقِ أَنْ يَكُونَ قُدْوَةً لَشَعْبِهِ،
ونموذجاً حياً، ومشكاة نور تهدي الجميع
ليمتثل به الناس ممن يعرفونه أو يقرؤون
مؤلفاته وكتبه، فينال احترامهم وحبهم،
ضارباً مثلاً أعلى في ممارسة القيم والمثل
والأخلاقية علماً وعملاً، انسجاماً مع ثقافته
وعقيدته ومبادئه، فتتق به الجماهير التي
يناضل من أجلها، ويعمل لخيرها وصلاحها.
وإن الممارسة الصادقة تعطى
المتقف قيمة حقيقة بين الناس فيلتصقوا به
ويحترمونه، ويسيروا وراءه، ويؤمنوا بأقواله
وجهاد ونضاله، فيساهم في تثقيفهم
وتويرهم ووضعهم على الخط الوطني
السليم، الذي يؤدي بالمجتمع نحو التقدم
والتحضر.

ولا شيء أضرب بالمتقف من أن
يكون مداهنا ومراثياً، يفعل خلاف ما يقول
فيصدق فيه قول الشاعر:
لَا تَنَّهُ عَنِ خَلْقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ

عار عليك إذا فعلت عظيم
وكم نعانى نحن الشعوب اليوم ممن
يخونون مهامهم ورسالاتهم، في وظائفهم
ومهنهم، فيحتالون على أبناء بلدهم وشعبهم
الفقير عندما يحتاجهم أو يسلم أمره لهم، أو
ينصبون أنفسهم أرباب نعمته؟ ان استغلال
هؤلاء المتقفين لعلمهم وثقافتهم هادفين

مصلحتهم الذاتية فقط يكونون قد فقدوا ثقة
الشعب بهم، وقد ينظر إليهم كأعداء له.
وباعتبار المتقف وجه الأمة ومن روادها
فاذا فسد قادها نحو الانهيار والفساد فإنما
الأمة بأخلاق ابنائها فإن فسدوا فسدت الأمة.
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وعلى المتقف أن ينشر ثقافته بين
أبناء مجتمعه، لا أن يحتفظ بالعلم
لنفسه، فالعلم كالمال فإنك لن تستفيد منه
ما لم تتفقه.

قال : (تبأ لك أيها الفلاس فإنك لن
تتفني حتى تخرج من جيبى) . وهكذا العلم
والثقافة فإن أكلهما في نشرهما، وتمثل
الشعب لهما. اجتمع الفيلسوف سقراط
بجماعة من الناس فبدأ يتكلم كل واحد منهم
مبدأً رأيته إلا واحداً، فقال له أرسطو: (تكلم
يا رجل حتى أعرفك!) فليس المهم أن يكون
الشخص متقفاً فقط، بل الأهم أن ينشر ثقافته
بين أبناء مجتمعه، فهو واحد وهم كثير.

ومن واجب المتقف أن يطّلع على
ظروف حياة شعبه ومشاكله فيناقشها ويضع
الحلول لها، وكل متقف حسب اختصاصه،
مستغلاً المناسبات الاجتماعية الكثيرة، وعليه
أن يقوم باللقاء المحاضرات حيث يتاح له
ذلك أيضاً، فهي الندوات التي يلتقي فيها
بالناس، وفي المراكز الثقافية، وكلما سنحت
له الفرصة ذلك، معبراً عن آرائهم عارضاً
مشاكلهم، منتقداً كل تصرف أو سلوك لا
يحقق أهداف مجتمعه. ولا يدع أية فرصة
تضيق دون أن يستغلها. لقد سمعت رواية
جميلة بهذا الشأن. هو أن أحد الجنرالات

جاء إلى موقفٍ باصٍ للنقل الداخلي يريدُ الذهاب إلى عمله، فوجدَ عسكرياً يرتبُ عريفٍ وإلى جانبه جندي، فسألها الجنرال منذ متى تنتظران الباص هنا؟ فقالا له: منذ نصف ساعة تقريباً، فقال الجنرال للعريف: ولماذا لم تدرب هذا الجندي؟! ابداً بتدريبه فبدأ العريف بتدريبه في الحال وأمام كل الناس..

وهناك مجالاتٌ أخرى كثيرةٌ في زماننا لكي ينشر المثقف آراءه ومبادئه وعقائده ووجهة نظره التي يراها في كل صغيرة وكبيرة، بجرأةٍ وشجاعةٍ وعلمانيةٍ وحياد، من خلال وسائل الإعلام الكثيرة كالتلفزيون والمذياع، والأصحف والمجلات وغيرها وغيرها، ومن خلال تأليفه للكتب ونشر المقالات والمحاضرات، فتصل آراؤه من خلالها لأكبر شريحة في المجتمع، وتؤدي بذلك الفائدة المرجوة، فيساهم بنشر ثقافته التي تنفع الجميع. ولا بأس أن يتحمل بعض المشاق والظلم وما يتبع ذلك في سبيل نشر المعرفة والعلم، إذ أنه وحده اختير لهذه المهمة الصعبة والشاقة. وإذا لم يفعل ذلك كما قلت فمن غيره يستطيع أن يحل محله؟! أو يبقى هكذا متخلفين!

ألم يقم الأنبياء والرسل، بما أوكل إليهم من مهام لتأدية رسالتهم؟ ولم لا قوا من الاستتجار والعذاب والاضطهاد في سبيل نشرها؟ ولم جاهدوا وناضلوا، ونادوا بأعلى أصواتهم في الساحات وعلى مفارق الطرقات وفي الاجتماعات والندوات لكي يؤمن الناس برسالاتهم؟! وما استجلب في البدء إلا القليل القليل، فقاموهم الأشرار

والجهلة والسفلة وقطاع الطرق، فتحملوا كل المشاق والعذابات، فمنهم من جرح، ومنهم من قتل، ومنهم من صلب، فصبروا وما بدلوا آراءهم تبديلاً.

وهكذا انتصر الأنبياء بالحق، وأدوا رسالاتهم، وكان ذلك بجهادهم وتضحياتهم، وما قاموا به من تقانٍ وفداء، فكانوا خالدين أبداً الدهر. فإن لقي الأنبياء والرسول والمصلحون أشد أنواع العذابات في سبيل نشر رسالاتهم، فعذبوا وصلبوا أليس بالأحرى أن نقسدي بهم، ونسير على خطاهم، من أجل شعبنا ووطننا وأمتنا؟! إن المثقف مكلف بأداء رسالته، والدفاع عنها، مهما أصابه من ظلم واضطهاد، لأنه وحده الذي يحمل مشكاة النور ومشعلهُ، وحده الضوء المبدد للظلام، هو الناطق بالحكمة والمعرفة والعلم، وعليه أن يعمل من أجل تحقيق رسالته، وفي سبيل بناء مجتمع حر متقدم عصري.

فإن أمة ليس فيها متقنون فهي أمة جاهلة وأمة متخلفة، لا يحسب لها حساب، ولا مكانة لها بين الأمم، يعيش أبنائها بالذل والفقر والقهر والجهل، وهي ذاهبة نحو الزوال.

وإن أمة يقودها متقنوها، هي أمة حية خالدة أبداً الدهر. فكن يا أخي المثقف متقناً حقيقياً أولاً، ولا تضن بعلمك وعملك وثقافتك على أمتك ووطنك وشعبك، واسبق الصبح إلى مطلع الشمس، حادياً أمتك بالعلم والثقافة والعمل نحو المجد والخلود، فبذلك مجد الأمة وفخارها وعظمتها.

نهضوا وقد صدح الآذان

ياسر برازي

نهضوا وقد صدح الآذان توضعوا بدم الحجز
الفجر قال لوعده الآتي: سيبتسم القمر

السَّيلُ، لن تقف السدود بوجهه لقد انهمر
فالأحمر ينبوع يملئ ما تخطئ يد القدر

طفل ومقلاع فيا درب الشهادة يا سفر
آتون: سكيناً وصاعقة على شفة الظفر

ودمياً لشفر القدس جناء وللأقصى زهر
الشوك لن يدمي عيون القدس فاهطل يا مطر

نهضوا وقد صدح الآذان إلى الجهاد إلى الجهاد
لن تستقر دماؤهم بصدرهم فالرمل صا

جاؤوا سيولاً حين حل الليل يُمعن في السواد
يا قدس يا أقصى ويا آلام رابية وواد

خلّوا الدموع وأبعدوا عن صدوركم لئون الرماح
قوموا اجطؤوا الشهداء أقداماً على طرق الرشاد

ولتكتبوا بدم الشهيد فإنه خير المسدد
الراغبات من الجراح الحمر تذهب بالحداد

• • •
نهضوا وقد صدح الأذان لينبئوا فينا هدايا
كننا وكان الخوف يصفنا ويساينا خطانا

لا القدس لا الأقصى يحركنا وقد هانت وهانا
والآن: كل نوافذ الدنيا تصيح إلى ندانا

الزغردات على دروب الفتوح تسكبها دمانا
يا أيها الأطفال يا حمماً تدفق من ثرائنا

لا تخمدوا لهب الحجارة أحرقوا فيها الجباننا
فرعون أدمن ذلله، موسى يلقنه الهوانا

• • •
يا من ذهبت إلى النضال وعدت محضوب الوشاح
يا أيها المغروس رمحاً يستطيل على الرماح

سكتوا وقد غنيت في الساحات أغنية الكفاح
حجرت بكفك أيها المصنوع من ألم الجراح

حجرت سلاخك - إنه السجيل - بورك من سلاح
دمك الخلود، الليل فيه يظل يهتف للصباح

دمك الحضارة أنبت فجرأ وروضاً من أقاح
اكتب: تقدست الشهادة - ما لعق الجرح ماح

تربطني به صداقة عقد كامل من
الزمان، كلها في قاعة الاجتماعات الشهرية
لجمعية البحوث والدراسات في مبنى اتحاد
الكتاب العرب بدمشق.

لا يكاد ومنذ بداية معرفتي به رأيت
فيه من الصفات قلما أجدها في غيره من
أعضاء تلك الجمعية الموقرة.

كان هادئاً قليل الكلام، لا يتكلم إلا
إذا طلب منه ذلك، فإذا تكلم كان مثال
الخبير المطلع، والمثقف الواعي، والمؤرخ
الثقة، والجغرافي الرحالة الخبير والأديب
الباحث، والدبلوماسي الذي قضى شطراً
كبيراً من حياته يتجول في ثلاث قارات من
العالم القديم، يخدم وطنه ليفي ما بذمته من
دين لأُمته.

ولا يكاد يغيب عن اجتماعات
جمعية البحوث والدراسات الشهرية إلا ما
ندر، يناقش، ويبيدي رأيه، ويحاضر، يتكلم
بهذوء وتؤدة، ولا يغضب من حوار معه،
ولا يتعصب لرأيه، ويحترم رأي غيره
كثيراً، وكان الدبلوماسية التي مارسها فيما
بعد شبابه قد انطبعت على سلوكه وحياته.
فنحن نلتقي في كل شهر من معين خبرته
وتجاربه التي قلما نجدها عند غيره من
أقرانه.

محمد عدنان مراد

بين الثقافة

والدبلوماسية

والرحلات

بقلم :

أحمد شوحان

صفاته ومزايده

منذ صغره كان يحب الرحلات والاكتشافات الجغرافية التي قام بها الرحالون القدماء من المسلمين الذين انطلقوا من الأندلس فجابوا أفريقيا وآسيا وجزر البحار التي مروا بها، البحر الأبيض المتوسط والأحمر والبحر العربي والمحيط الهادي والهندي.

وكثيراً ما كان يفكر وهو في نعومة أظفاره: هل أتجول في العالم كما تجول هؤلاء وأرى من عادات الشعوب وصفاتها. وجمال البلدان وغرائبها كما رأى القدماء فأكتب عنهم كما كتبوا لنا، وأصبحت كتاباتهم تراثاً خالداً نعتز به!!!

في الجيش السوري

تخرج من الكلية العسكرية في ١٢/١٢/١٩٤٧ برتبة ملازم ثان، وقد اختص في سلاح فرسان - مدرعات. وبعد ثلاث سنوات أرسل إلى فرنسا ببعثة عسكرية (١٩٥٠ - ١٩٥١م) والتحق بمدرسة تطبيقات المدرعات والخيالة العسكرية في (سومور) اختص فيها على سلاح المدرعات والتعاون بين صنوف الأسلحة العسكرية.

ومن يجلس معه عاماً كاملاً يسمع لحديثه أو يناظره في مسألة أو يناقشه في قضية لا يلمس فيه تعالياً أو تفاخراً أو شيئاً من عنجهية عسكرية، وكأن الرجل لم يكن عميداً ركناً في الجيش العربي السوري، وكان الذين يحملون هذه الرتبة في أيامه لا يزدون على عدد أصابع اليدين، أو سفيراً لبلاده في عدد من الدول، فزادته وظائفه تواضعاً، وزاده تواضعه محبة بين زملائه.

مولده ونشأته

في مدينة حماة وفي عام ١٩٢٤ ولد عدنان مراد بين صرير النواير التي تنن ليلاً ونهاراً، ولعلعة الرصاص الذي كان الفرنسيون يرشقون به المدينة التي ثارت عليهم، واستمرت في الثورة إلى يوم الاستقلال.

وبها نشأ ودرس الابتدائية والإعدادية والثانوية وفي ١٢/١٢/١٩٤٥ تطوع في الجيش السوري الذي كان يرضخ للفرنسيين الذين بدأوا يربطون أحزمتهم للرحيل عن أرض الوطن. وقضى في الكلية العسكرية في حمص سنتين، سنة والبلاد ترضخ للفرنسيين، وسنة وقد أصبحت البلاد حرة مستقلة.

٤- وسام فلسطين.

٥- منح جميع الأوسمة التذكارية في المناسبات والأحداث الهامة.

وقد تنقل في مناصب عسكرية مختلفة وارتقى فيها بأمانة وقدرة وكفاءة بدأها بقائد سرية ثم قائد كتيبة، فمديراً لمدارس المدرعات، فقائداً للدفاع عن مدينة دمشق، فقائداً لسلام المدرعات، ثم أصبح قائداً للمنطقة الساحلية. وكان برتبة عميد ركن. لقد كان عسكرياً ملتزماً بشرفه العسكري وانضباطه المسلكي، ولم أر فيه يوماً عنجهية وجلافة الآخرين، الذين يتصرفون بخشونة وصلف، أو يكتمون ما لا يعلنون، ولذلك كان محبوباً من رؤسائه ومرؤسيه على السواء وكان نشاطه الثقافي وهو في السلك العسكري ملموساً:

١- شارك في ترجمة القاموس العسكري، وكان مندوباً بذلك عن سلاح المدرعات.

٢- كتب العديد من المقالات العسكرية في المجلة العسكرية السورية.

٣- قام بترجمة الأنظمة العسكرية الفرنسية إلى اللغة العربية.

٤- ألقى العديد من المحاضرات والكلمات في القطعات العسكرية في أزمنة مختلفة، وشارك في الندوات الكثيرة.

وفي عام ١٩٥٩ اتبع دورة أركان حرب في كلية الأركان السورية وحاز على شهادة ماجستير في العلوم العسكرية.

وإبان عمله كعسكري في الجيش السوري عمل في جيش الإنقاذ علم ١٩٤٨ حين تقدم المجاهدون لتحرير فلسطين من الغزاة الصهاينة اليهود، فكان قائداً لحامية عكا، وقد شارك مع جنوده وضباطه في الدفاع عن المدينة، كما شارك في الدفاع عن مدينة صفد، ثم استلم قيادة مدرعات فوج اليرموك الثاني، وشارك في الهجوم على بعض المستعمرات، كما شارك في العديد من المعارك التي دارت بين مجلدي جيش الإنقاذ وعصابات اليهود الغازية منها: معركة المالكية، وقدس، والنبي يوشع، وغيرها.

كما كان له شرف المشاركة في المعارك بين الجيش السوري والجيش الإسرائيلي وذلك في معركة تل العزيزيات، ومعركة جسر بنات يعقوب.. وغيرها.

كل يعمل بشجاعة وشرف بالغين مما دعا القيادة العسكرية تنظر إليه نظرة الاحترام والتقدير فمنحته مجموعة من الأوسمة.

١- وسام الإخلاص من الدرجة الأولى.

٢- وسام الاستحقاق السوري.

٣- وسام الشرف العسكري.

كانت الوحدة بين القطرين الشقيقين سورية ومصر عام ١٩٥٨ أملاً للعرب قاطبة في إقامة الوحدة العربية الشاملة، لكن هذه الوحدة لم تدم طويلاً وحدثت فيها أخطاء، تمنينا أنها لم تحدث، حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه من حركة عسكرية قد تطيح بهذه الوحدة، وهذا ما حدث فعلاً في ٢٨ أيلول ١٩٦١ حيث انفصلت هذه الوحدة، وتقطعت عراها. من تلك الأخطاء التي استغلها العسكريون السوريون: نقل عدد من الضباط السوريين إلى وظائف مدنية ووزارات لا علاقة لها بالشؤون العسكرية، أو ألحقوا بوزارة الخارجية.

وكان صديقنا الأستاذ عدنان مراد أحد أولئك الضباط - هو عميد ركن - الذين ابعدوا عن الجيش إلى وظائف مدنية وقد انتهى عمله في الجيش السوري في ١٩٦١/٢/١ ليلتحق بعد هذا التاريخ بوزارة الخارجية في القاهرة.

ومن القاهرة كانت نقطة انطلاقه في العمل السياسي والدبلوماسي، وارتقى إلى مناصب مدنية رفيعة هي:

١- عمل مديراً لإدارة الوطن العربي مع صفة مندوب سورية في جامعة الدول العربية، ورئيس الوفد السوري

لمؤتمر الجامعة العربية - أجهزة فلسطين - في المؤتمرات الدولية المشرفة على اللاجئين الفلسطينيين بين عامي ١٩٦٢ - ١٩٦٦ .

٢- صب جهوده وخبرته لتوثيق الصلات العربية الأفريقية، للوقوف في وجه الهجمات المتكررة على القارة السوداء من الغرب عن طريق شراء العملاء وكبح جماح الإرساليات التبشيرية التي عملت جادة من أجل تغيير الهوية الأفريقية، ومن إسرائيل عن طريق الصهيونية العالمية حيث راحت تتغفل في هذه القارة البكر العزلاء، وتمد إليها نفوذها لصهينتها وامتصاص ثرواتها، فكان نتيجة جهوده وجهود زملائه في الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية أن تأسس البنك العربي للتعاون العربي الأفريقي.

٣- عين سفيراً لسوريا في الصومال عام ١٩٦٢ وأقام فيها أربع سنوات كان خلالها يعمل بجد ونشاط مع الحكومة العربية الصومالية لتخفيف الضغط على ثوار أرتيريا التي كانت خاضعة للحبشة في اتحاد فيدرالي أقامته الأمم المتحدة في كانون الأول عام ١٩٥٠، وكانت سورية أول دولة تقدم العون

والمساعدة المادية والمعنوية
لثوار أرتيريا عام ١٩٦٢ وهي
المهمة التي كان يقوم بها زميلنا
عدنان مراد.

٤- خلال إقامته فيها تعرف من خلالها
على طبيعة الشعب الصومالي
والزعماء الذين كانوا يطالبون
بالأراضي الصومالية الخاضعة
لأثيوبيا. وكتب عنها كثيراً. وتعرف
على الجالية العربية والإسلامية في
ثلاث دول مجاورة للصومال هي كينيا
وأوغندا وتنزانيا من خلال زيارته
لها.

٥- عندما عاد إلى سورية بعد انتهاء
عمله كسفير للصومال، عاد إلى
لوساكا عاصمة زامبيا لحضور مؤتمر
عدم التحيز عام ١٩٧١ التقى خلال
فترة المؤتمر مع أعضاء الوفد
السوري عدداً من الزعماء الأفارقة
وغيرهم.

٦- كتب عن الدول التي عمل بها
أو زارها. وقد قرأت العديد من
تلك الدراسات في نسخها الأصلية
التي لا يزال يحتفظ بها. وهو في
تلك الجولات الواسعة في أفريقيا
كان يجد العرب فيها بل يجد
المسلمين فيقول: (في كل مكان وصلته
في القارة كنت أجد في من يحدثني

باللغة العربية أو يحييني بسلام
الإسلام).

٧- عمل مديراً لإدارة القنصلية، ورئيساً
للوغد السوري لتوقيع الاتفاقيات
القنصلية مع الدول الاشتراكية -
بولونيا - رومانيا - بلغاريا.

٨- عمل مديراً للإدارة الأفريقية، ورئيساً
للوغد السوري في مؤتمرات التعاون
العربي الأفريقي في تونس - ليبيا -
دمشق.

٩- مثل سورية في عدد من المؤتمرات
والوفود الرسمية منها:

أ- كان عضواً في الوفد السوري لمؤتمر
لهي لمساندة شعب نامبيا عام ١٩٨٥.

ب- اعتبرته الجامعة العربية خبيراً في
الشؤون الأفريقية، وقد شارك في عدد
من المؤتمرات التي عقدت لمناقشة
أوضاع أفريقيا سياسياً واقتصادياً.

ت- عمل كقائم للأعمال في السفارة
السورية في بون.

ث- عمل سفيراً لسورية في اليمن
الشمالي والجنوبي.

ج- عمل سفيراً لسورية في اليونان.

ح- مثل وزارة الخارجية في مباحثات سد
الفرات خلال التحضير لبنائه.

خ- مثل وزارة الخارجية في المؤتمر
الأكفي لمدينة بغداد، وذكرى الفيلسوف
الكندي فيها.

إلى غير ذلك من المهام الثقافية والدبلوماسية التي مارسها وقام بها خدمة لوطنه بكل صدق وإخلاص وأمانة.

ثقافته

نشاطاته الثقافية في الفترة التي عمل فيها في وزارة الخارجية دسمة لأكمه زار وتجول وأقام في العديد من الدول في آسيا وأفريقيا وأوروبا، فقد كتب دراسات موسعة عن اليونان، الصومال، كينيا، تنزانيا، الكونغو، غينية، أثيوبية، زنجبار، وغيرها.

وكتب أبحاثا سياسية مطولة أذكر

منها:

- ١- القومية الزنجية في فكر الرئيس السنغالي سنغور.
- ٢- دراسات عن الأحزاب الإسرائيلية.
- ٣- الموقف الدولي من القضايا العربية، وموقف الدول من القضية الفلسطينية.
- ٤- احتلال إيران للجزر العربية.
- ٥- الخليج العربي في الماضي والحاضر.
- ٦- دراسة عن عربستان.
- ٧- دراسة عن جزر الخليج العربي.
- ٨- عمان وإمارات الخليج.
- ٩- تاريخ عمان والثورة العمانية.
- ١٠- الجنوب المحتل (اليمن الجنوبي).

١١- دراسة عن جزر البحر الأحمر.

١٢- دراسة عن السودان.

١٣- دراسة عن موريتانيا.

١٤- دراس عن الأكراد وثورة البرزاني.

وله العديد من الكتب المطبوعة والمخطوطة، تأليفا وترجمة أذكر منها المطبوعة:

١- صراع القوى في المحيط الهندي والخليج / ١٩٨٢ / مكتبة التنبجي - دمشق.

٢- بريطانيا والعرب. صدر بدمشق عن دار طلاس عام ١٩٨٥ م.

٣- تراجم عن اللغة الفرنسية - معركة ستالينغراد صدر عام ١٩٨٦.

٤- المجتمعات الأفريقية / ١٩٩٥ / صدر عن إتحاد الكتاب العرب بدمشق.

٥- ملوك وعشيقات (قصص الحب التي صنعت فرنسا) صدر الجزء الأول منه عام / ١٩٩٣ / عن دار الأهالي بدمشق، والجزء الثاني لا يزال مخطوطا.

أم كتبه المخطوطة التي ترجمها عن الفرنسية ولا تزال مخطوطة فهي:

- ١- مذكرات الجنرال فاسيليوسكي رئيس الأركان في الاتحاد السوفيتي سابقا إبان الحرب العالمية الثانية.

٢- نحن الأخوة بارباروس ملوك الجزائر
وأعظم الربابنة.

٣- فرديناند وإيزابيلا ملوك الكاثوليك
(خروج العرب في إسبانيا)

٤- الحرب الجرمانية السوفيتية (الجنرال
الفرنسي كونيغ).

٥- البرتغال والعرب. وهو مخطوط من
تأليفه.

أما عن الصحف والمجلات التي
نشر فيها مقالاته وبث فيها أفكاره وآراءه
فهي كثيرة جداً، ومع كثرتها لم يكن همه
الوحيد أن يكتب وينشر، ولكننا من خلال
معرفتنا به كتب ليفيد غيره وينفع الناس
بما كتب، وأهم المجلات والصحف التي
نشر بها هي:

١- المجلة العسكرية السورية: غزو
الألمان لبريطانيا، معركة طبرق،
معركة كورسك، ومقالات أخرى.

٢- مجلة استراتيجيا: العلاقات العربية
الأمريكية في القرن التاسع عشر.

٣- مجلة الفكر العسكري: نظرية ماهان
والسيطرة البحرية، الجيوش المرتزقة
ودورها، معركة تالاس آخر المعارك
العربية، العلاقات التركية - اليونانية
منذ ظهور الدولة العثمانية - مختصر

لكتاب تيتو يتكلم تاريخ النضال
اليوغسلافي ضد الألمان في الحرب
العالمية الثانية

٤- مجلة الفكر السياسي: الحرب في
أفغانستان والعوامل المؤثرة، الخلاف
الهندي الباكستاني وقضية كشمير.

٥- مجلة الآداب الأجنبية: القارة الأفريقية.
أما الصحف التي نشر بها فهي .

١- جريدة الراية القطرية: مذكرات عن
حزيران عام ١٩٦٧، عدة مقالات عن
سقوط الإمبراطوريات الأفريقية
والحرب الأهلية في الكونغو وحرب
موبوتو.

٢- جريدة الثورة السورية: دراسات عن
العلاقات العربية - الأفريقية.

هذا وقد أجريت معه مقابلات كثيرة
في التلفزيونات العربية تحدث فيها عن
الوضع العربي والأفريقي. ولا يفوتني أن
أنوه عن فكره القومي فهو في جميع أبحاثه
ومقالاته وأحاديثه يتحدث عن الواقع
العربي، والأمة العربية، وهو بعيد جداً عن
القطرية.

ذلكم هو الصديق عدنان مراد الذي
قضى حياته باحثاً وأديباً، ودبلوماسياً
رحالة.

فزيدي النَّصْرَ نصراً يا دِمَشْقُ

د. محمد الحسوني

نسيمُ الصَّبَحِ مَنْ بَرْدِي يَرْقُ
وهلْ فِي الكَوْنِ مِثْلُكَ يا دِمَشْقُ
نَشَأْتُ عَلَى أَدِيمِ فِي جِنَانِ
لَهَا فِي الخَالِدِ آفَاقٌ وَعُشُقُ
ووجهُكَ فِي سماءِ الكَوْنِ فَجَرٌ
وعطركُ فِي عِيونِ الأفَاقِ ورقُ
إذا طمَحَ المَكَّانُ فَنَأَتْ أَهْلُ
وإنْ هَامَ الزَّمانُ فَنَأَتْ عَشُقُ
وإنْ شَرِدَتْ نَجُومٌ فِي اللَّيْلِ
فبَابُ الشَّامِ مَقْصُودٌ يُدَقُّ
غَمَرْتُ الكَوْنِ إِشْرَاقاً وَفَضْلاً
أَضِيءُ بَنُورِهِ غَرْبٌ وَشَرْقُ
إذا حَكَمَ القَضَاءُ فَنَأَتْ عَذْلُ
وإنْ جَارَ الطُّغْيَاءُ فَنَأَتْ حَقُّ
وإنْ صَدَقَ الرِّوَاةُ فَنَأَتْ فُخْرُ
وإنْ كَذَبَ الوُشَاةُ فَنَأَتْ صَدَقُ
وَأَنْتَ عَلَى رِقَابِ الشَّامِ سَيِّفٌ
وَلِلْمَظَلِّمِمْ إِحْسَانٌ وَعِشْقُ

• • •

صلاح الدين لم يقبل سواك
 لضم رفاتك أنه أتت الأحق
 لأنه في ثراك سرى ومنك
 إلى القدس الشريف حده شوق
 وفي حظير كان له انتصار
 بسيف الشام أعناقاً يـدق
 شـمخت بميسلون ولم تنهـابي
 دروع المعتدين وهـن طـوق
 تقدم يوسف للخالد يسـعى
 ولم يخشى الردى بطل مجـوق
 ولم تنهـا فرنسـا فيك يومـاً
 وحاط بجندهـا رعد وبرق
 وحل الرعب فيهم حيث حـوا
 ونال وجوههم طعن ومزق
 اتتناكي تعلمنا السـرق
 ونهـج رقتـها قتـل وحـق
 على قمم الجبال وفي البـوادي
 دم الشـهداء ريحـان وغـدق
 وفي نيسان جـاء النصر يزهر
 ونبض القلب في الرايات خـق
 دمشق وقفت طول الغـر سـداً
 ولبن يتأبـه ضعـف وخـرق

وفيك اليوم بشّارٌ حكيمٌ
 له في ساحة الرؤساء سَنَقُ
 إذا فتحت جراحَ في قلوب
 له في ضنّها عونٌ ورثقُ
 وإن عاث الأعادي في جماننا
 فعزّم صموده نارٌ وسحقُ
 مدّت الصّامدين غداةً هبّوا
 لتحرير الجنوب، بما استحقوا
 وأنت اليوم للأقصى سَياجُ
 وللجرح الثّخين يدٌ ورفقُ
 لقد خدع الطفّاة فبات يبدو
 على شارون إرهابٌ وخنقُ
 فقد جاؤوا لينبؤوا في قرانا
 صياصيهم ليرتاحوا ويبقوا
 نذكّر كلّ سفّاح غريب
 بأنّ القدس مقدّسةٌ وخرقُ
 دمشق على ربّك يحدّ نورُ
 ومِن إخلاصك المعهود دُفْقُ
 ويلقى الثّائرون ليدّيك أمناً
 فزيدي النّصرَ نصراً يا دمشق

لو أننا استطعنا تجسيد الإنسان الكامل، وتوافرت الظروف المواتية لعيشنا، لما احتجنا إلى الكتابة عن السعادة ولكنّ النقص يطوّقنا، ولا ندري لماذا يتحرّج بعض الباحثين من البحث في السعادة، مع أنها مطلب حيوي لاستمرار فاعليتنا وتفاعلنا مع العالم.

ومن بين القلائل الذين حاولوا استكشاف طريق السعادة كان الدكتور عادل العوّا، الذي تتسم أبحاثه بالعمق والإتزان. وهو يدرك أن نظرة الناس إلى السعادة تتفاوت.

لقد رأى بعض الفلاسفة أن السعادة تكمن في الفضيلة، أو في الخير، أو في التأمل العقلي، أو في الاتحاد بالله، وحسب ولكن عادل العوّا لاحظ أن بنية الإنسان تخالف ما يذهبون إليه. إنه يشترك مع النبات والحيوان في كثير من الأمور البيولوجية، وينفرد بالعقل والتأمل. فما الذنب في أن يوافق الإنسان بنيته النباتية، ويروي غرائزه الحيوانية، وينتشي بعقله؟ وخاصة أن القرآن الكريم يخاطب المسلم بقوله: ((..ولا تنسى نصيبك من الدنيا)). فالإسلام لم ينتظر حتى ((يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم)). ولا يطلب من المؤمنين أن ينتظروا الجنة التي ((فيها أنهار من ماء غير آسن. وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشرابين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات)).

حاسة

السعادة

عند..

عادل العوّا

بقلم:

د. محمد جمال طحان

فهو عندما يأمر المسلم بأن يعدّ العدة للآخرة ((وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة)) ، يشدد أيضاً على ضرورة أن يطالب الإنسان سعادة حياته الفانية ((ولا تنسى نصيبك من الدنيا)) وما ذاك إلا لأن الإنسان محكوم بإنسانيته: عقلاً ونفساً وجسداً، ولا بد له من ارضائها جميعاً، وكلّما حسن تنظيمه لدوافعه، واعتنى بغذائه، ووفّرت له أسباب الراحة، عاش بشكل أفضل، وحسن عمله لآخرفته.

ولا ضير في أن يختلف الناس في مسألة تجربة السعادة، وذلك لأنها أمر يتصل في نظر أصحابها بتجاربهم في الحياة، فهي ثمار الأبواب وحصيلة الممارسة ونتاج الخبرة والحكمة.. ولكن هل يمكن أن تأتي السعادة عفواً؟ أحياناً يمكن أن يحدث ذلك، ولكن حدوثها بهذا الشكل أمر طارئ، وما هذا إلا لأن الدكتور العوا يعدّ السعادة كالثقافة جهد تنظيم لا يضطلع به حقاً إلا صاحبه. وعن علاقة السعادة بالعلم يرى أن السعادة في الحياة مرتبطة بالحكمة أكثر مما هي مرتبطة بالعلم. فالعلم قد يخطيء في تقديره أحياناً وما المشكلات التي يخلقها العلم كل يوم إلا خير دليل على ذلك. أما الحكيم فإنه يصيب دائماً ويسعد دائماً.

والسعادة عند العوا شعور مباشر يتوقف على الخبرة والسلوك، وهي مطلب راهن يمس التحلي بالفضائل، فكلما اقتربنا

من القيم الأخلاقية النبيلة نصبح أقدر على التحلي بالسعادة.

كما يرى أن السعادة حوافز، واللذة هي جماع الحوافز التي تسوق الإنسان إلى طلب السعادة. وتنشأ اللذة من ارضاء الميول. أما وعي الإنسان بكرامته فينقله من الإحساس باللذة إلى الشعور بها، باتجاه مطلب الكمال أو المثل الأعلى.

ويفرق العوا بين اللذة والسعادة، فالسعادة ملقاة باللذة بالكمال، أو المتعة بالقيمة، أو الواقع بالمثل الأعلى، هي تطابق بين النظر والعمل. وبما أن للسعادة دوراً في السلوك، فلا بد من تلازم السعادة والتخلق. ولكن لا ترتبط السعادة دائماً بالفعل الأخلاقي. والتخلق لا يكفل للمرء شعور السعادة حتماً، واللاتخلق لا يقود بالضرورة إلى مشاعر التعاسة.

إن شعورنا بالسعادة لا يتبع نتائج أفعالنا دائماً، وإنما يخضع أحياناً لظروف خارجية عما قد نرسمه. لقد أراد (بوذا) التّشكّف، وترك الشهوات للوصول إلى السعادة، بينما ينصح (زرادشت) بلجرات عملية، من أهمها تحقيق الإنسان العدل مع الأعداء والأصدقاء.

ويعلن (السيد المسيح) أن دار السعادة لا يتوصّل إليها إلا في الآخرة، فما هذا العالم (سوى جسر) للآخرة، فهل يستحق العالم مشقة الاهتمام به؟

في حين أن (أبيقور) قد حدّد السعادة باللذة، فالسعادة جسمية، أما غاية

الحكمة فهي المتعة، ولا يمكن أن يكون الإنسان سعيداً ما لم يكن حكيماً وشريفاً وعادلاً.

واللذة القصوى تمثل التقيد بالفضيلة. وكما تقول الجوقة في رواية (انتيغون) التي كتبها (سوفوكليس) :
((إن الحكمة هي أولى ينابيع السعادة)).

أما (ابن باجة) فإنه يضع منهجاً لتدبير المتوخد طلباً للسعادة وتدعو (مها بهارات) إلى الامتناع عن إيذاء أحد، كما تدعو إلى القناعة والهدوء وضبط النفس والتسامح،

ولكنّ مذاهب السعادة تلك تبقى وجهات نظر مختلفة، ويبقى الشيء الأكيد المشترك بينها أن السعادة كثيراً ما تخرج عن نطاق الأخلاق. ويرى د. العوا أن للسعادة شروطاً، فهي غير ممكنة مع العوز والمرض، بل لا بد أن يتمتع الإنسان - مبدئياً - بشروط كفايته المادية والمعنوية والنفسية ليتمكن من الوصول إلى ذلك الشعور المرفه الذي ينتقل عبر الإحساس تارة، وعبر الفكر تارة أخرى.

وبما أنه يرى أن السعادة هي تنظيم للذات، كان لا بد أن تكون نسبية تتأثر بالظروف والطرائق التي يנהجها كل إنسان لتنظيم لذاته. ومن هنا يعود مرة أخرى إلى التفريق بين اللذة والسعادة: ((إن للسعادة صفتي الدوام والتعميم، في حين أن اللذة تتصف بأنها زائلة ومحدودة)).

وهو يرى أن خير وسيلة لبلوغ السعادة هي ألا نتخذ السعادة غرضاً مباشراً. صحيح أن السعادة جهد ودأب وسير على الطريق، وهي لا تنال إلا بالوعي والتنظيم، ووعي الواقع باحتمالات لذاته، وتنظيم هذه الاحتمالات باتجاه القيمة الأسمى، ولكن ينبغي لنا ألا نبالغ في طلبها حتى لا نفرّ منا .

وكما تشترط السعادة وجود حدود دنيا من الشروط الشخصية، كذلك فإن السعادة تستلزم الحرية، ولا سيما حرية الأفراد في الاضطلاع بمصيرهم.

وحين يقارن السعادة بالمدنية والحضارة يرى أن السعادة لا تلتقي بالحضارة إلا إذا استطاعت حرية الأفراد والأمم أن تتيح للناس تنظيماً قانونياً وإمكانات راهنة فعلية، تمكن الشخص الإنساني من اختيار مصيره، وابتكار سعادته بتنظيم لذاته تنظيماً منهجياً يعكس ثقافة عصره ومصره.

ولكن هل يقتصر الفرد على الاهتمام بسعادته؟ يجيب الدكتور العوا: لا بد أن يبتعد الإنسان عن الأنانية، لأن التضحية تتكشف عن متع لا حصر لها، ويمكن أن نلاحظ ذلك في عاطفة الأمومة. ومثل هذا القول صحيح في ميدان الحب بوجه عام.

وإذا كان الحب يرتبط بلذات (أنانية) حسية، فإنه يتصف أيضاً بـ (غيرية) رفيعة جعلت أكثر من مفكر ينادي

بأن الحب أصل سائر أشكال (الغيرية) الأخرى.

إن اللذة الغيرية، كما يرى د. العوا، لا تخضع لحساب نفعي (أناني) مسبق. فإذ أشعر باللذة من جراء إسعاد من أحب فست أفل ذلك طلباً للذة بالذات، بل إن اللذة تواكب فعلي ذلك.

وما هذا إلا لأن للقلب (الغيري) وثبة عفوية تسبق (الأثانية) وتسمو عليها وقد جعل بعض المفكرين (الغيرية) نبراس التعاون والتكافل، ووجدوا أنها معيار الحضارة والرفق. وحسب بعضهم أن في وسعهم قياس درجة التقدم بمقياس ازدياد الإيثار في حياة الأفراد والجماعات. لأن هذا يؤدي إلى أن يعم الاحترام بين الناس، وأن تشيع الشفقة، وتنتشر قيم التضحية من أجل الآخرين، والأمر، على أية حال، إنما يتعلق بتنظيم حياتنا العقلية لنصل إلى النتائج المبتغاة. ولا شك أن الأثانية والغيرية إنما تعبر كل منهما عن مواقف نفسية معقدة، متفاوتة الدرجات، وهي تنم عن القيم والمعايير الأخلاقية والاجتماعية. كما أن للتربية والثقافة دوراً لا يستهان به، مما يمكن أن يبعد الإنسان عن الأثرة والأثانية طلباً لتعائش مريح مع الآخرين.

السعادة الشخصية التي لا تنفصم عراها عن سعادة الآخرين، أو إسعادهم، إنما هي شيء يجب أن نصنعه.

وزيدة القول في مسألة السعادة عند الدكتور عادل العوا تتلخص في أن لذات

الوجود، لذات الكائن كما هو، تدل أكثر ما تدل، على الذات الحسية الناجمة عن ممارسة أعضائنا (الفيزيولوجية) ممارسة سوية، وعلى المرء، بالطبع، ألا يزدريها ولا يحاربها لمجرد ازديادها وحربها. فإذا كان من السار أن نتدفأ مثلاً عندما نشعر بالبرد، أو نشرب حين نشعر بالظما أو أن نأكل طعاماً أجيد طهيته، فليس في قيم السعادة ما يمنع الاستجابة لهذه المسرات. غير أن ثمة لذات إنسانية مثالية لا بد لنا من طلبها، وهي ترتبط بميول الإيثار. ومن تلك الميول الميل العقلي الذي يدفعنا إلى التفكير. وهذا هو مصدر الشعور بالكرامة الإنسانية.

ويلاحظ الدكتور العوا أن هذا الميل الكريم قليل الانتشار بين الناس، إذا ما قيس بالميول الأثانية الحسية. ولكن من الثابت أن هذا الميل إلى الإيثار والفكر ينبذ الميول الأخرى (الحسية) في إتصافه بالديمومة والتنوع. وهو مصدر عظيم لشعور الإنسان بالذات المعنوية بسهولة.

وهذه الذات كلها ترتبط بفكرتنا عن سمو الطبيعة الإنسانية. ومن المستحيل أن يتغافل الناس عن متع الكرامة الإنسانية والإيثار عندما يريدون تقدير أفضل ما يقود الناس إلى السعادة.

وبعد... فهل يمكن أن يتمخض الزمن عن اكتشاف جديد يتمتع به بعض الناس أكثر من سواهم ليكون ما يشبه حاسة السعادة؟ ..

خَمْسُونَ عَاماً مَا انْطَفَأَتْ

وليد حجار

لَو تَشْعُرُونَ بِمَا أَكُنَّ وَأُضْمِرُ
وَمَحَبَّتِي بِالْقَلْبِ كَيْفَ تَصَوِّرُ
لَو تَدْرِكُونَ، إِذَا الْقَصِيدَةُ أَقْبَلَتْ
مَاذَا أَحْمَلُهَا.. وَكَمْ هِيَ أَقْدَرُ
لَو تَعْلَمُونَ إِذَا خَلَوْتُ لِعَالَمِي
مَا أَسْتَبِيحُ بِهِ وَمَا أَسْتَتَكِرُ
الْحَبِّ مَهْمَا صَوَّرْتَهُ مَشَاعِرُ
بِالرُّوحِ فِيهِ طَلَسَمٌ لَا تَنْظُرُ
لَا تَسْأَلُونِي كَيْفَ عَشْتُ بِنَارِهِ
لَا تَسْأَلُونَا... إِنَّ الْحَقِيقَةَ أَكْبَرُ
خَمْسُونَ عَاماً مَا انْطَفَأَتْ بِهَا وَلَا
أَوْهَى الْفَوَادِ تَبْدُلٌ وَتَغْيِيرُ
مَرَّتْ وَتَارِيخِي يَسْجُلُ مَا بَهَا
خَبِيرُ يَشْتَبِعُ وَآخِرُ يَتَسَتَّرُ
صَفَحَاتِهِ الْخَضِرَاءُ جِدًّا قَلِيلَةً
بَسْطُورِهَا مَا أَزْدَادَ إِلَّا الْأَحْمَرُ
الْأَرْبَعُونَ... وَقَفْتُ عَنْدَ بُلُوغِهَا
يَوْمًا كَهَذَا وَالشُّبَّانُ يَزْمَجُرُ
عَشْرَ مَطْلَعَاتٍ مَا بَعْدَ ذَلِكَ وَانْقَضَتْ
وَكَأَنَّهَا فِي سَيْرِ عَمْرِي أَشْهَرُ
مَا زِلْتُ أَهْتَصِرُ السَّنِينَ وَرَغْبَتِي
فِيهَا مِنَ الشَّهَوَاتِ مَا لَا يَحْصُرُ

في كلّ آونة يطربُّ لى الهوى
 أحيا كما يهوى المزاج ويأمرُ
 هي ذي الطبيعة ما تغير سيرها
 وكذا تظل مع الدهور تكرر
 شيء تبدل في مسيرة رحلتي
 لا تحسبوه مع الزمان يؤثر
 أصبحت أكثر خبرةً ودرايةً
 فيما أقولُ عن النساء وأخبر
 كم كنت أجهل بالهوى، فإذا أنا
 بالحبِّ صاحبٌ منهج ومقرر
 طورين عشت مع النساء مخضرمًا
 طورَ الشباب وما به قد طورا
 حتى انتقلتُ إلى المشيب ولم أزلُ
 ابغى المزيد ، بما أحسن وأشعر
 حبي لهنّ يزيد كلّ عشية
 لا يستكين ولا العزيمة تفتر
 في الأربعين قد اكتملن إثارة
 طاب القطاف وذاب فيها السكر
 هي ومضة الإبداع كيف أردّها
 من أين يأتي الوحي حين أعبر
 كالخمر عتقها الزمان بجاتنة
 في كلّ خابية يجسد عبقر
 ماذا ارتشفت ودبّ في ديبها
 بعوالم النشوى أطوف وأبحر
 فأننا اكتسبت من التجارب عصمة
 كالوحي ترشدني، فلا أتوهو

أظهرت في دنيا الجمال مفاتيحنا
البحر منوع بها ومحرر
ما جف نبيع كان يطفئ غلتي
إلا وأرقدت المشاعر أنهر
فأننا المعالم ما استعنت بحجة
إلا أتيت بما يفوه مفكر
والشيب جاء يلفني بوقاره
فوجدته بالروح ليس يوقر
مازلت أبحث والطريق طويلة
عما يجذ من الفنون وينشر
حتى وصلت إلى القناعة وثقاً
أنني وجدت ولت ما أتصور
أبقى على قمم الخيال محلاً
فكأنني (هاروت) بابل أسحر
هن النساء كما وصفت بحبوبة
تلك الحقيقة.. كيف فيها أكفر
لا نفع يرجى إن عشقت صغيرة
فأننا الوحيد من الصغيرة أنفر
ما عدت أرغب أن أطارد ظبيبة
بدويبة الأطوار لا تتحضر
للوقت مضيوعة إذا جاملتها
وإن اجتأت فإن ذلك أخطر
مثل (الملوح) لا أحقق غايبة
أملني بضيق وخطوتي تنقهر
مهما بدت عصريبة بدائها
عند التجارب فتها يتبخر

رأسُ الحماقة، حين أعشّق غادةً
 ترضى وتغضبُ والوصال يكـذّر
 تبقى مراقة تقاد غير هـا
 أما الخبيرة.. كم تشيرُ وتأسر
 تعطيك ما تصبو إليه بلهفةً
 تبغي المزيد إذا اعتراك تأخر
 ماذا أقول وفي الفؤاد حقيبة
 فيها حقائق ما أبوحُ وأستر
 خمسون مرّت والخطيئة لم تزل
 تبني قصوراً والصغار تكبر
 والناس ما برحت تلوكُ بسيرتي
 وتزيدُ فيها ما يشينُ وينكر
 هم يمكرون إذا سمعت حديثهم
 وأنا أكذب ما يقالُ وأمكر
 مهما أعددتُ فالشواهدُ جمة
 أن قلّوا في نشرها أو أكثروا
 لن أستفيد وقد خلعت عباعتي
 ورميتها خلف السنين تشطّر
 خالفت قانون الحياة بثورة
 فيها صهرت مبادئاً لا تصهر
 الحبّ عندي ليس دفيق عواطفٍ
 همجية الأمواج دوماً تهدر
 هو كالشتاء وكالربيع تقلّبا
 في كلّ مرحلة له ما يعذر
 هو كاحتجاب الشمس عند غروبها
 تأتيك فيما بعد لا تتأخر

والنفس بين غروبها وشروقها
هيهات يعرف ما تحس وتشعر
فالحب عند الناس غير شكلة
لعداوة بين النفوس تسير
ما للخيانة بالنفوس تربعت
تفوزو ضمائرنا ولا ننذم
إن ظل هذا الحب دون عقيدة
ومبادئ ندعو لها ونبش
لا بد أن تأتي النهاية
ففي ذلك واقعها المريع
تعطي الحياة كما نحس ونشتهي
لكنها عند الكمال تقصر
فاعذر صديقك إن كبا في هفوة
واخلص له إن الصداقة جوه
كل ابن أنثى لا محالة ناقص
إن التجارب بالحياة تبصر
فإذا امتحنت وخاب فالك مرة
في خوض تجربة وخانك معشر
أنت الكريم ولو أدوك بنارهم
فرمادها بعد الخمود يطهر
إن الخطيئة نحن كنه وجودها
من عهد (آدم) لم تزل هي عنصر
كل البحار إذا اغتمست بمائتها
تبغي الطهارة.. لا أظنك تظفر
كم من خبيث صار خادماً مسجداً
ومنافق خاف الإمام يزور
فتجنبوا غدر اللئام تجنبوا
من كان معذنبه الرخيص يؤجر

لولا اختلاف الناس فيما بينها
 ما كان طعم للحياة يغسّر
 فاجمع أو اسط ما تراه برحلة
 فيها الطريق إلى التعايش أيسر
 خمسون فيها ذقت كل حلاوة
 مازلت بعد مضيتها أتأثر
 فإذا المواسم أقفرت في فترة
 أو غاب عن عين المولاه منظر
 هزوا بجذع القلب يغدق فوقنا
 ما لذ من رطب تسر وتسكر
 عادت إلى العهد القديم نفوسنا
 نشدو ونرقص والمزاهر تنقر
 من كان أوله نقاء سريرة
 لا بد آخره يطرب ويثمر
 مضت السنين.. وقاربت أجلي بها
 نحو النهاية. كيف لا أحسّر
 يا هول ما فعلت يداي ضلالة
 وتجارتني كم صرت فيها أخسر
 كيف الرحيل وما حملت مؤونة
 عما ارتكبت من الذنوب تكفر
 يبقى من اتبع القناعة غانما
 أو كان في ساح المصائب يصير
 سقيا لمن كشف الحقيقة أو رأى
 ما لا يرى عند الفراسة مبصر
 قوموا إلى الرحمن نسأل عفوهُ
 وعن الذنوب نتوب أو نستغفر
 ما شاء ربك فليكن بقضائه
 أني بما يقضي عليّ سأشكر

دور الشعر

في النضال

الوطني

حتى نبيل

الاستقلال

في

سورية ..؟!

بقلم:

محمد الزينو سلوم

كما هو واضح لنا جميعاً.. في أن
الاستقلال لجميع الشعوب ضرورة حتمية
ومصرية لا بد منها لنيل حريتها والتخلص
من نير الاستعمار والتبعية له مهما كانت
دواعي ذلك.. والأمة العربية في الوطن
العربي الكبير بعد اجتياح السلطنة العثمانية
لأكثرها قروناً عديدة، هبت في نهاية القرون
التاسع عشر كالريح العاتية في روحها
القومية تطالب وتناضل بكافة الوسائل من
أجل استقلالها وحريتها..

انطلقت سورية بشعبها نتيجة
الوعي القومي كما ذكرت، واندفعت مطالبة
بالاستقلال والتحرر مثلها مثل الكثير من
الشعوب العربية الأخرى.. ولم ينفع العرب
وقوفهم إلى جانب العثمانيين في الحرب
العالمية الأولى ضد الحلفاء، وبدلاً من
مكافأتهم قام السفاح جمال باشا بإعدام أول
قافلة من قوافل الشهداء في ٢١ آب
١٩١٥م، ولما استمرت الحركة العربية في
النضال نفذ في ٦ أيار ١٩١٦ حكماً
بالإعدام في كل من دمشق وبيروت بقافلة
أخرى من الثوار منهم عبد الحميد
الزهرابي، وشفيق العظم وآخرون.. كان
هؤلاء يرددون وهم في طريقهم إلى أعواد
المشانق:

نحن أبناء الألى

شادو مجدا وعلى

نسئل قحطان الأبي

جد كل العرب

المفيد والضروري نشر البعض منها، ولو كانت غير كاملة، للتذكير بها كشاهد على ما قدمه الشعراء في أدب المقاومة في سورية حتى مرحلة الاستقلال.. منها ما قيل على لسان بعض الشعراء، ومنها ما قيل على لسان الثوار، ومنها على لسان المعلمين وهكذا تتوالى الزغاريد والأناشيد لنعزف ما قدمه الأجداد من قبل لنيل الاستقلال والحرية على كافة الأصعدة.. ومنها الأدبية.. وهي بالتالي نداء عام للجماهير والأدباء في سورية لتوثيق مثل هذه الأناشيد والأغاني والأشعار لتكون النبراس الذي يضيء الطريق للأجيال المقبلة خوف ضياعها في المستقبل.. وبالطبع فإن لكل نشيد مناسبتة، ولكل قصيدة شاعرها.. ولكن مع الأسف فليست المعلومات التي في يدي من وثائق "أناشيد وأغاني وأشعار" موثقة تماماً وبالتوالي لا يمكن معرفة أصحابها بالشكل الدقيق، وهي مجرد نماذج تشكل مجموعها سيمفونية غناها الأجداد من خلال النضال والتضحيات التي قدّمت آنذاك.. فلكل نشيد أو أغنية أو مقطوعة شعرية مناسبتها وأسبابها.. وأولها ما قاله الثوار: يا ظلام السجن خيم.. إننا نهوى الظلاما..

يوم الانتقام..!!

إن هذا اليوم يوم الانتقام

فارفعوا الخطي واستلوا الحسام

أيها الكشاف يادر..!!

أيها الكشاف بادر

وارتقى أوج العلىسى

وهكذا استمر النضال هنا وهناك، وكان للشعب السوري أثر بارز في الثورة العربية الكبرى فيما بعد.. والتي قادها الشريف حسين، ولم تنته مرحلة الحكم العثماني حتى بدأت مرحلة الحلفاء بدءاً من عام ١٩١٩ م وعلى رأسهم فرنسا وإيطاليا في تنفيذ اتفاقية سايكس بيكو، ووضع الدول العربية التي كانت خاضعة للحكم العثماني تحت الانتداب، ثم تتالت الأزمات وجاء إنذار غورو ودخول القوات الفرنسية دمشق بعد معركة ميسلون في ٢٤ تموز ١٩٢٠، واستشهاد البطل يوسف العظمة، ثم تتالت الثورات في سورية مثل ثورة هنانو، وثورة الشيخ صالح العلي، وثورة جبل الدروز، وثورة حماه، وثورات المنطقة الشرقية بدءاً من ١٩١٩ - ١٩٢٨ وهي ثورة مسلحة، وبعدها جاء الكفاح السياسي من عام ١٩٢٨ - ١٩٤٣ حتى كان الاستقلال والجللاء الذي نحتفل بذكره في كل عام..

أعود إلى موضوع البحث بعد هذه المقدمة لأقول: أن الشعب في سورية حاله حال العديد من الشعوب العربية، لم يعط الاستقلال وإنما أخذ بالقوة، ومن خلال النضال والكفاح المسلح وغير المسلح، وقدم قوافل الشهداء قرباناً على مذهب الحرية.. وقد كان للأدباء وخاصة الشعراء منهم دوراً أساسياً في إشعال نار الثورات هنا وهناك طيلة هذه المرحلة من خلال الأناشيد والأغاني والقصائد الشعرية التي انطلقت كالزغاريد هنا وهناك.. ونظراً لعدم توثيق الكثير منها وخشية الضياع من

أطلب المجد وفاخر
 كي تنال المأملا..
 لا تراقبي للمعالي
 دون جد واجتهد
 سر إلى أوج الكمال
 لتعيش فيك البلاد..
إيه سورية الحبيبة..!؟
 نادى الأوطان هيا
 نحو رايات الغلى
 واجعلوا الموت شهيا
 في سبيلي أو لا..
 إلى أن يقول :

إبذلوا الروح فداها
 لا تضنوا بئمن
 وادفعوا عنها عداها
 وارفعوا شأن الوطن..
أهلاً.. أهلاً..!؟

أهلاً بمن ، أهلاً بمن
 قد طوقونا بالمن
 فهكذا يا صاح من
 يسعى لإحياء الوطن..
 يا أيها المجد اتخذ
 وبالمعارف اجتهد

عن جهله من لم يجد
 يكن أسيراً للمحن..
الشهاد..!؟

أبت المنايا أن تذوق المناما
 والمنايا تغتال منا الكراما
 كم شهيد فوق التراب طريح
 ويتمى تلقى الردى والأيامى..
إيه يا ابن الغرب..!؟

يا ابن الغرب ، يا ابن الأكرمين
 كنت في مجدك وضاء الجبين..
إلى أن يقول:

من يحب الغرب أن يهوى الوطن
 يطلب العلم ولا يخشى الوهن
 إذ بغير العلم لا تحصى المحن
 فبالى أهل النهى، أهل الفطن..
 صغت قولي فلتجيبوا مسرعين
الله محب نعهده..!؟

العلم كشمس مشرقه
 يهدي الإنسان وتُسعدُه
 إن ضل رفيقاً ننصحه
 بلطيف القول ونرشدُه
 الحق ترائنا نجهله
 والكذب عدو نطرده

والصدق مثال نورده

ونلاحظ بعد قراءة مثل هذه الأناشيد وتنوعها ومضامينها في أنها كانت تركز على التضحية وحب الوطن والتفاني من أجله وعلى نبذ الحقد والكذب وعلى طلب العلم، وعلى التذكير بالأجداد الغابرة، وعلى الشهادة في سبيل الوطن، بصوت الأحرار والثوار والطلاب والكشافة.. بصوت الوطن الغالي لبذل العطاء والتضحيات لإغناء الروح الوطنية والقومية، عند الجماهير العربية، ومثل هذه الأناشيد يجدر بنا الإهتمام بها وحفظها نظراً لأهميتها كما ذكرت من قبل.. ولأنها منهجاً للجماهير في عهد النضال العسكري والسياسي حتى نيل الإستقلال وجلاء المعتدي والمستعمر عن أرض الوطن..

يا ابن سورية تقدم

يا ابن سورية تقدم

واجني أثمار العلى

واستعد مجدا قديما

صار رهننا للبلوى

طال وقت أنت فيه

خامل بين الملا

الشرق الأمين

يا حمى الشرق الأمين

لك في قلبي حنين

لك إخلاص مبین

وهوى الأوطان دين

عز قومي غاياتي

حسب أرض آيتي

فلترفر رايتي

ولها في اليمين

يا بلبل الأوطان

يا بلبل الأوطان

غرد على الأغصان

عهد الجفا عفا

والصفا قد حان

قد زالت الأحزان

بالقنا والقضب

بالقنا والقضب

قام مجد العرب

راية العرب ارتقي

فوق هام الشهب

نشيد اليتيم

تلك أمي كفكت خرط الدموع

ولأجلي حرمت طيب الهجوع

لم تجد شمس هنائي في سطوع

فقضت في ذمة الله القدير

بني الشرق

لنا وطن بأنفسنا نقيه

وبالدنيا العريضة نفتديه

إذا ما سيلت الأرواح فيه

بذلناها كأن لم نعط شيئا

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا

فليس وراءها للعز ركن

أليس لكم بذى الأوطان عدن

وكوثرها الذي يجري شهيا

رايتي

أنت كلي لا تكلي رفرفي

حول مجد قوضته النائبات

أفتديه سائرا في ظلك

بسلام أو جهاد للعباد

سر بيمن الله

يا بني الأوطان جدوا بثبات

وامتطوا للعز متن الصافنات

فاخروا بالعقل دوما والنهي

لا بماض أو طول خاويات

واجعلوا دينكم حب الوطن

فلعمري حبه أسمى الحيات

وادأبوا كي تسعده بالعمل

لا بأقوال فما قد فات فات

إلى أن يقول

جددوا عهد الولا والإتحاد

إن أردتم خير نصح ورشاد

لي ديني ولكم دين فلا

تهدموا بالدين أركان الوداد

شهد الله بأن الدين ما

كان يوما حائلا بين العباد

وإذا ما فرق الدين فيها

كلنا يجمعنا حب البلاد

نشيد الأمل

سائلوا عنا العصور الأولا

يوم فقتنا الناس مجدا وعلا

يوم قدنا بالعوالي الدولا

سائلوا عنا بطون الكتب

سائلوا الشام ومصر والعراق

وسواها، سائلوا السبع الطباق

سائلوا الأسياف والسمر الرقاق

وسواها من رواسي الحسب

شعر العندليب

سمعت شعرا للعندليب

تلاه فوق الغصن الرطب

والعيش لي فوق الغصون

لا في قصور أو حصون

أطير فيها، لفرط وجدي

من غصن ورد لغصن ورد

وفي فروع الأشجار بيتي

فالظل فوقني والزهر تحتي

وسل بشدوي زهر الرياض

إني بحكم الأزهار راضي

يا قوم إني خلقت حرا

لا أَرْضَى إلا الفضل مَقْرَأ

فإن أردتم أن تؤنسوني

ففي المباني لا تحبسوني

وإن أردتم أن تنطقوني

فاطلقوني، فاططلقوني!؟

درس، درس، درس

ساعات البوح يرتبها

عقل، وتنظمها شمس

بالدرس بدأنا في كتب

درس، درس، درس، درس

شاهدت الشمس وقد طلعت

شاهدت الشمس وقد بزغت

فعجبت لمنظرها الحسن

فسألت الشمس لما طلعت

قالت: كيما تحيي وطني

ورأيت البدر وقد أشرق

فجلا ظلم الليل الدجن

فسألت البدر لمن يعشق

فشكى وبكى حب الوطن

شبو على الخصم اللدود

شبو على الخصم اللدود

نار الوغى، ذات الوقود

فما لنا في ذا الرقاد

من عاش ذلاً، لا يسود

يا أيها العرب الكرام

إلى متى أنتم نيام

قوموا إلى الموت الزوام

وامشوا له مشي الأسود

يا آل قحطان الأولى

المجد عاشوا والعلا

ما بالكم عدتم بلا

عز، أستم في الوجود؟

سير الكشاف

طاب لي التسيار ما بين الربى

ونفى عني شذاها النصبى

على أن يقول

لا ينال المجد إلا بالونىام

فاجمعوا الأمر وسيروا للأمام

لا تراعوا من خطوب أو محن

تتوالى كيفما شاء الزمن

فرقة الطلاب

فرقة الطلاب لا تنوي سوى

أن تعيد اليوم مجدا ضيعا

بثبات واتحاد دائس

طالما بالمجد يرقى من سعى
إن وردنا منهل المجد فلن
نترك المنهل حتى نشبع
قد نوينا اليوم أن نحيا فلا
نرتضي غير الثريا موضعا
لا نبال بخطوب طالما
في ظلال المجد نسعى أجمعا
رثاء الملك فيصل

في ذمة الأوطان
والمجد يا فيصل
نم ناعم الوجدان
من مجدك الأمل
نم مستريح البال
في الخلد يا فيصل
قد صبح العزم

قد حصص الحق لاحق ولا زم
ولا عهد لكم يا قوم تحترم
إن العهد إذا لم ترعها دول
فالسيف يثبتها والحزم والهمم
فيم القعود على ضيم يراد بنا
وموطن العرب بين الغرب يقتسم

لبلادي في فؤادي

لبلادي في فؤادي
نار وجد وشجون
أفتديها بتلادي
وأفيها باليمين
إننا قوم عرفنا
بين كل الكائنات
هامت الأرواح منا
في عناق المكرمات
عادة العرب الكرام
أن يجودوا بالنفوس
كي ينالوا في الونام
رتبة فوق الشمس
أرض الشام

لك يا أرض الشام
مهبط الوحي المجيد
من فؤاد مستهام
خالص الحب الأكيد
هاج في النفس حنينا
ذكر أيسام الجدود
فجر الدمع سخيا
كالدما فوق الخدود

لغة العرب

لغة العرب اذكرينها
واندبني ما فـات
كيف ننسـاك وفيـنا
نسـمات من حـياة

لك سورة السلامة

لك سورة السلامة
وسلافا يا بلادي
إن رمى الدهر سهامه
أتقـىها بفـؤادي

فاسلمي في كل حين

الأخلاق الفاضلة

نعمن بنفسي وأشقيتني
فيا ليتـهن ويـاليتني
خلال نزلن بخصب النفوس
فرويتـهن واظمـأنني
تعودن فيـى إباء الكريم
وصبر الحليم وتيه الغني
وعودتـهن نزول الخطوب

فما ينثني وما أنثني
إذا ما لهوت بليل الشباب
أهين بعزمي، فنتـهنني
فمازلت أمرح في قدـهن
ويمرحن في بروضة جنـي

إلى أن تولي زمان الشباب

وأوشك عودي أن ينحني
فيا نفس إن كنيـتي لا توقفني
بمعقود أمـرك فاستتبـقني
فهذي الفضيلة سجن النفوس
وأنت الجديدة أن تسـجني
فلا تسألني متى تنقضي
ليالي الإسار فلا تحزنـي

يوم الروع

نحن يوم الروع أنصار الوطن
نبذل الأرواح من غير ثمن
همنا السؤدد والذكر الحسن
لا نبالي بصروف أو محـن
نتلقى البأس بالبأس الشديد
مرحبا بالموت في نيل العلى
حبذا الحمد لا سم بـذلا
من يحقق للبلاد الأمـلا
ثم يقصف غـضه ريب البلا
فهو في الدنيا وفي الآخرة شهيد

نحن كالبنيان

نحن كالبنيان جسم واحد
كل فرد خادـم للمجتمع
بقلوب من حديد وأمل
قد عرفنا أن ننال المقصدا

وينادي ويحكم

أرجعوا ماضي العهود

هذه الأمم

يا ذوي الهمم

عدها انتظم

فاشحذوا الهمم

واسلكوا نهج الصعود

هذي رؤوس الروابي

هذي رؤوس الروابي

أضحى يوارىها السحاب

والشمس كالتبر المذاب

فلنمش لا نخشى الصعاب

فلنسر

يا نشأة الشرق

هليلي هليلي هليلي

يا نشأة الشرق

يا نشأة الشرق العلي

هليلي واعلمي

للشرق كي يعتلي

في عصره المقبل

ويرى في المكان الأول

مصدر النور قديما أرضنا

والحضارات أقمننا ركنها

وبأيذ ذات بذل وعمل

قد شرعنا واستطعنا الموردا

فتاتي

نحن زهر العلم في روض العمل

نحن للأوطان غايات الأمل

لا تبالي يا فتاتي بالملل

واعلمي فالله يجزي العمل

وانهضي بالعلم تحيي الأملا

إن روض العلم يزهو

بفتاة وفتى

وبه يعلو ويسمو

فوق هام النيرت

وبه نعتز ما بين الملا

هاج في النفس الشجن

هاج في النفس الشجن

طائر فوق فنن

يندب القوم وهم

في خمبول ووسن

يا بني العرب كفى

ما أتينا من محن

فاعدوا نيراتكم

ترفعوا شأن الوطن

حسبكم أن قد غدا

مجدكم يبكي الجدود

يا مريض الشم الأسود..

يا مريض الشم الأسود

هل أفقرت منك الربوع

ما للعللى عنك تحيد

هلا لها فينا طلوع

يا مهبط العز التليد

يا هبة المجد الوطيد

يا هزة العرب الحماة

قد تألم خطب شديد

فاستعذبوا كأس المماة

فالحر خفاق البنود

هلا سمعتم من يصيح

المجد يصرخ بالبنين

من ذا يجيب ندا الجريح

أوهل قضى أسد العرين

إنى فدا عز مشيد

وهكذا نجد من مضامين هذه المقطوعات الشعرية والأناشيد والأغاني مدى الدور النضالي المسلح والسياسي التي خاضتها الجماهير العربية وخاصة في سورية الحبيبة.. وقد حفظها الصغار والشباب والكبار والثوار عن ظهر قلب، وكانوا يرددونها في مدارسهم وفي معانقهم وفي مسيراتهم ومظاهراتهم العارمة، تعبيراً عن غضبهم وسخطهم على المستعمر الأجنبي، ولعلنا نحفظها نحن أيضاً حرصاً على وطننا وقوميتنا العربية التي تتعرض للغزو والعولمة من قبل مصاصي دماء الشعوب.. ليبقى الوطن صامداً كالطود في وجه المعتدين..

ملاً الدنيا جمالا فتنا

فاستمدت كل ديننا فنا

ها أجب داعي الوطن

ها أجب داعي الوطن

واجعل له النفس فدا

فإن خير الناس من

يسعى لإحياء الوطن

هذا الوطن

عار علينا أن ننام

ونضيع مجداً لن يضام

هبوا ولو ذقنا الحمام

بالروح تغدي ذا الوطن

نشيد الوطن

وطن يرف هوى على شبانة

كالروض رفته على ريحانه

هو نظم حليته وجوهر عقده

والعقد قيمته يتيم جمانه

يرجو الربيع بهم ويأمل دوله

من حسنه ومن اعتدال زمانه

من غاب منهم لم يغب عن سمعه

وضميره وفؤاده ولسانه

ولقد صدقتم هذه الأرض الهوى

والحر يصدق في هوى أوطانه

هيهات ينسى بذلهم وأرواحهم

في حفظ راحته وجلب أمانه

منذ الغلاف المصمم بأناقة وشفافية
متناهية، ومروراً بتسع وعشرين قصيدة
سكنت فيها وداد طويل عبيد النور ذوب
عواطفها ومشاعرها المرهفة، والتي سبقها
إهداء يختصر معانيها ويكرس قيمها
ويجسد أفكارها وألحانها الشجية، تستشعر
أنك تعيش في أجواء إنسانية وجدانية
سامية.. أجواء تحلق معها في ملكوت
علوي يطوي في أهابه حب الوطن ويختزن
في أعماقه الحب الخالص الذي يرتفع بك
مطاولاً عنان السماء بعلوها وسموها
وتألقها..

في (اخشع يا زمان) وهي
المجموعة الثانية لشاعرتنا المجيدة، بعد
رسائل حنين، يخشع قلبك وتهفو نفسك
أمام نسيج من الكلمات والجمال أحكم ربطها
بإتقان بالغ بعيد عن الصنعة، قريب من
الطبيعة التي تتوحد وتوق النفس، فتغدو
ألحاناً تسري في الأعماق تستثيرها
وتستفزها، في جانبها الوطني، وتشف
لتذوب فيها، وتذوب معها، في جانبها
الوجداني..

يحق لشاعرتنا الملتزمة بحب
دمشق، أن تهيم جداً فتسجد فوق تربها
المعجون بالبطولات والأمجاد تقبله

اخشع يا

زمان

نفثات

وطنية

وجدانية

بقلم :

غسان كلاس

ويتعصر قلب الشاعر أسمى لوفاة
قائد الشام الكبير، الخالد حافظ الأسد، رجل
المواقف والصمود، ولكن لا يلبث أن يشع
في جنبات نفسها الأمل بتولي الرئيس بشار
دفة القيادة:

ولن نخشى المصاعب إن أطلت
فأنت بنهج والدك التزام
ولا يقتصر التزام شاعرنا في
حدود الوطنية، قطرياً، بل يتجاوزه لتعيش
فرحة تحرير الجنوب اللبناني فتنظم قصيدة
تمجد من خلالها، بطولات رجال الجنوب
والتضحيات التي حققت الانتصار الكبير:

إن الشعوب إذا ما اشتد ساعدها
مهما استبد طغاة الأرض تنتصر
جرد حسامك (نصر الله) ثانية
القدس ثكلى كذا الجولان ينتظر
ولا يفوتها، في الإطار نفسه، أن
تكبر، في قصيدة ثانية، ثورة الحجارة، التي
بات الطفل الفلسطيني وهج حروفها يغني
النضال على يديه ويغرد:

وليكتب الشعراء فوق ضريحه
طفل تأبى، لم يهن، فاستشهدا
وكما في قصائدها الوطنية، التي
تمتد لتسع الوطن العربي بأكمله، فهي في

وتمجده، ولم لا ودمشق كانت ومازالت
وستبقى مهوى الأفئدة وملتقى المحبين،
تزهر بقاسيونها وتشمخ بأبجديتها وتترسه
فخراً واعتزازاً بحضارتها وأوابدها:
فلولا الشام ما اخضلت كروم

ولا انساحت معتقة مدام
يحق لشاعرنا أن تهيم بحب
دمشق، صانعة الحضارات، التي تهب الخير
من شرفة مجدها ليحملها إلى مرابع الأجداد
والخلان ليعم العالم، وتزدهي به البلدان
متوجاً بأكاليل الغار والفخار:

من جاوز الشمس إشراقاً ومعرفة
غير الأوائل من نجد وغسان
يحق لشاعرنا أن تفخر بثشرين التحرير،
الذي رسم في قرص الشمس أمجاده
ومفاخره مستلهمة بطولات حطين
مستنهضة الهمم لنجدة القدس السليب..

وتذرف الشاعرة دموعاً حرى على
بردى، وريد دمشق، ومنهل الخيل ونبع
الطيوب، الذي غاله الدهر الخؤون؛ فجف
ماؤه وخبا رونقه وبات الصفصاف حزيناً
لحاله:

أين الربيع، لم الضفاف في حزن
غطى الضباب جبين الشمس واحتشدا

ويغزل الليل أقماراً ملونة

تبارك الشعر والإبداع والقلم
وتقول في قصيدة مهداة للفنان

عبد الرحمن جبجي:

من أسكر الورد حتى ذاب من عبق

وفجر الآه في قلبي ووجداني

يا مبدع اللحن كيف اللحن تنسجه

أمن تعانق أنسام بريحان

أم شعلة الوحي قد سالت على وتر

تبارك الوحي في أوتار فنان

وفي الحفل التأبيني الذي أقيم

لمناسبة وفاة رئيسة النادي الأدبي النسائي

تعبّر بمنتهى الوفاء والإخلاص قائلة

يا قدوة خط الزمان بصدرها ألفي كتاب

يا زهرة ألقى الإله بثغرها الشهد المذاب

سواك من حلو الجنى كالخمر في كأس الشباب

كنت الثقافة والغنى والفكر والرأي الصواب

ولا أزعم أنني أتيت - بمقالتي

هذه - على قلاد المجموعة جميعها، وإنما

هي إضاءات على وجدانيات ووطنيات

ألمحنا إلى بعضها. وحسبي أن اختتم بتقرير

الشاعر الكبير مدحة عكاش: وأرى أن

الشاعرة وداد طويل كلما أوغلت في دروب

الشعر تزداد صدقاً في عاطفتها وإرهاقاً في

شعورها.. وشفح هذه العاطفة أسلوب

مشرق واضح يعتمد إشراقة العبارة سواء

كان وطنياً أو وجدانياً..

وجدانياتها لا تقتصر على هدهدة رضيع

ومناغة طفل، بل تتبع على قصيدها السمة

الإنسانية بكل ما تحمل هذه الكلمة من

معنى: تقدس الأم، وتقدر الزوج، وتبزر

مناقب الكبار، وتثني على المبدعين من

الأدباء والفنانين الذين يمنحون من فكرهم

وعواظهم ومشاعرهم غذاء للروح يشفي

النفس ويسمو بها نحو العلاء.. فهي في

مناجاة الأم، التي تعطي الدفاء من قلب

الصقيع، تتمنى على الزمان أن يخشع أمام

مثواها ويسفح الطيب ويروي التراب الذي

أواها، لأنها حيثما حطت خطاها ينبت

الزهر:

سرّها سرّ إله

خط في لوح القدر

كيفما امتدت يداها

فانهمار الأقحوان

ذاك سرّ الأم

فاخشع يا زمان

والزوج، الذي من وحي حبه

صاغت شعرها، ومن تحنانه داوت جرحها:

ألقيت ظلك في بيداء خافقتي

وما رضيت مدى عمري له بدلا

وفي تقديرها للأدب والفن تنظم

أكثر من قصيدة تؤكد - من خلالها - على

دورها المميز في صنع الحياة. تقول في

ختام قصيدة، أثناء تكريم خريستو نجم:

وقفة مع كتاب مساجد القيروان للدكتورة المهندسة نجوى عثمان

بقلم:

أحمد حسن الخميس

لقد اهتم المسلمون ببناء المساجد وعمارتها منذ صدر الإسلام، فكانت في بدايتها بسيطة لا زخرفة فيها، ولكن في العصر الأموي والعصر العباسي وما تلاهما، بدأ الخلفاء والأمراء يعتنون بالمساجد تشييداً وزخرفة وتجديداً، حتى غدت تلك المساجد روعة من ورائع الفن المعماري.

وما من مدينة فتحتها الجيش الإسلامي إلا وأسس فيها الأمير مسجداً جامعاً، يكون منطلقاً للجهاد والدعوة، ومكاناً للعبادة وطلب العلم.

واشتهرت عدة مدن بمساجدها، مثل الجامع الأموي بدمشق، وجامع عقبة بن نافع، وجامع الزيتونة في القيروان في تونس وجامع الأزهر في القاهرة.

ولقد لفتت هذه المساجد أنظار العالم، فأتمها السائح من كل مكان للإطلاع على ما فيها من رقي حضاري، وكُتبت المؤلفات في تاريخها ومظهرها وبنائها وزخرفتها وماذنها وقبابها، ودورها في حياة المسلمين.

فكتب الدكتور حسين مؤنس كتاب "المساجد" الذي أصدره المجلس الوطني للثقافة والفنون في الكويت ضمن سلسلة عالم المعرفة رقم ٣٧.

والفت عدة كتب عن الفن الإسلامي تحدثت عن المساجد، مثل كتاب (الفن الإسلامي) لعفيف بهنسي، طبعته دار

طرابلس - دمشق - عام ١٩٨٧ م ، و
(موسوعة الفن الإسلامي) بثلاثة مجلدات
أصدرتها مؤسسة الوحدة في الكويت، وثمة
كتب أخرى تناولت المساجد مثل كتب
العمارة الإسلامية.

إن هذه الكتب وقفت عند المدن
الإسلامية ومساجدها وقلاعها، وأظهرت
بالمعلومات التاريخية الموثقة وبالصور
الموضحة القيمة الفنية والجمالية لهذه
المعالم الأثرية الخالدة، ومن الكتب الهامة
والفريدة في هذا الموضوع ما ألفته
الدكتورة المهندسة (نجوى عثمان) .

حيث صدر لها كتاب بعنوان
(مساجد القيروان) - دمشق - مطبعة دار
عكرمة عام ٢٠٠٠م/ وعدد صفحاته
١١٦/ صفحة.

قسمت المؤلفة الكتاب إلى ثلاثة
أقسام، القسم الأول عن التاريخ العمراني
لمدينة القيروان، والقسم الثاني قدمت فيه
دراسة تاريخية وهندسية لجوامع القيروان
وبدأت بالمساجد الثلاثة التالية: جامع عقبة
بن نافع (الجامع الأعظم) وجامع الزيتونة،
وجامع الباي (جامع الحنفي) ثم الجوامع
التي تلتها حتى العصر الحديث، وخصصت
القسم الثالث لوثائق جمعية الأوقاف
المتعلقة بالمساجد الجامعة والمساجد
الصغيرة، وموضوعات أخرى متنوعة،
وأثبتت في نهاية الكتاب ملحقات تغنيه
وتكمله، بالإضافة إلى ذلك ذكرت فهراس

للمصادر والمراجع والجداول والصور
والمخططات والوثائق، وفهرساً عاماً
للموضوعات.

إن الدكتورة المهندسة (نجوى
عثمان) نذرت نفسها لمثل هذه الدراسات
والبحوث، فقد نالت الماجستير بتاريخ
العلوم التطبيقية عام ١٩٩١ وموضوع
البحث (الهندسة الإنشائية في مساجد حلب)
ونالت الدكتوراه بتاريخ العلوم التطبيقية
عام ١٩٩٨، وموضوع البحث (دراسة
هندسية مقارنة بين مساجد حلب ومساجد
القيروان) ، وطبع لها كتاب الهندسة
الإنشائية في مساجد حلب - جامعة حلب
١٩٩٢ م وكتاب (حلب في مئة عام)
(١٨٥٠ - ١٩٥٠) في ٣ أجزاء - جامعة
حلب ١٩٩٣ .

وما إن انتهت من أعمالها هذه،
حتى توجهت من حب في سورية إلى مدينة
القيروان في تونس لتكمل رحلتها مع
مساجد الوطن العربي وتسجل لنا معلومات
ووثائق موضحة بالصور عن أهم المساجد
في المغرب العربي.

إن الباحثة لم تكتف بالنقل من
المراجع والإطلاع على المخطوطات، بل
عاينت القيروان ومساجدها عن قرب،
قالت عن ذلك في مقدمة الكتاب:

((قضيت أشهراً أتجول في حومات
القيروان وأرباضها وأنهجها وأزقتها
وزنقاتها، وزرت جوامعها ومساجدها مرات

عديدة، وسجلت ملاحظاتي الهندسية حولها، وأخذت مقاييسات بعضها كنماذج، والتقطت الصور لعناصرها الهندسية المتميزة، فأنجزت بذلك الدراسة الميدانية للمساجد كلها التي بلغ عددها /١٢٣/ مسجداً واعتمدت في هذا كله على جهدي الشخصي، وعملت بمفردي بصمت وبشكل دائم ومستمر))

هذه الدراسة الميدانية، جعلت الكتاب يحتوي مضامين دقيقة في وصفه لتلك الآثار الخالدة التي بنيت في مدينة القيروان، وأضافت المؤلفة لدراساتها الميدانية تاريخ المساجد حسب العصور التي مرت بها، وتضمن الكتاب تسعة عشر جدولاً في تاريخ المساجد وتطورها وخواصها الهندسية وغير ذلك من المعلومات، وتضمن منه ثمان وأربعين صورة توضيحية للمساجد وما فيها وملحقاتها، وتضمن ستة وخمسين مخططاً هندسياً معمارياً لبناء المساجد وما فيها.

إن المؤلفة اختارت مدينة القيروان بالذات لما لها من مكانة في نفوس المسلمين، فهي مدينة عربية إفريقية، أنشأها عقبة بن نافع عام ٥٠ هـ / ٦٧٠م، وبنى فيها المسجد الجامع الذي سمي بسمه.

لقد اهتمت الكاتبة بمساجد القيروان فأفردت لها هذا الكتاب الذي يعد الأول من

نوعه، إذ إنه استقل بالكتابة عن مساجد القيروان كتابة ميدانية موثقة، تفيد المختصين وغير المختصين الذين يشهدهم سمو الفن الإسلامي وروعه.

إن هذا الكتاب أغنى المكتبة التراثية العربية الإسلامية في هذا الجانب، فهو يتميز عن غيره بعدة ميزات منها:

١- أنه دراسة ميدانية قائمة على المعاينة والمقايسة.

٢- قد تضمن مخططات هندسية لا توجد في غيره.

٣- وتضمن مخططات وجداول بيانية وصوراً ملونة توضيحية.

٤- يعتني الكتاب بالوصف الهندسي والجملة الإنشائية.

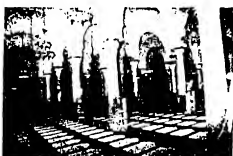
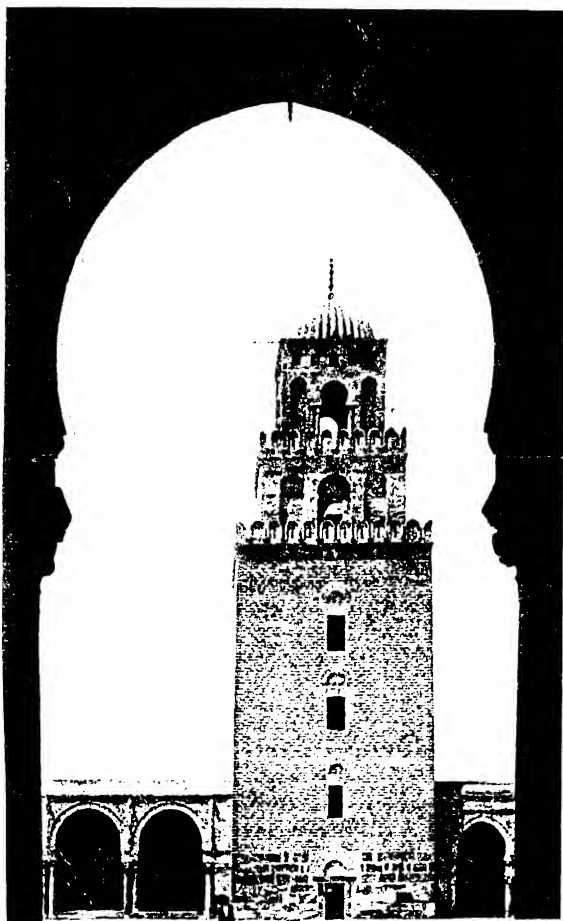
٥- أعد الكتاب بشكل منهجي فالمؤلفة عند الحديث عن مسجد من المساجد، تتبع الخطوات الرئيسية التالية: تقدم لمحة تاريخية عن المسجد، ثم تسلط الضوء على المسجد بشكل عام، ثم على أجزائه كالكعبة والمحراب والمنبر والمنذنة وتحدث عن السقوف والأقواس، وكل ما يتبع المسجد.

إن الكتاب يبرز عظمة الفن الإسلامي والعمارة الإسلامية مما يجعلنا نفخر بأولئك العباقرة الذين أشادوا لنا حضارة مادية ومعنوية، يقف لها التاريخ إجلالاً واحتراماً.

مساجد القيروان

الدكتورة المهندسة

نجوى عثمان



وردت لفظة (رشد) مع مشتقاتها
 في القرآن الكريم تسع عشرة مرة، نحو
 قوله تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين
 الرشد من الغي) (البقرة/ ٢٥٦)
 ونحو قوله تعالى عن الكفار (وإن
 يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً)
 (الأعراف/ ١٤٦) ونحو قوله تعالى يصف
 حالة القطيع التي وصل إليها قوم فرعون
 الطاغية: (فاتبعوا أمر فرعون، وما أمر
 فرعون برشيد) (هود/ ٩٧)
 وقوله تعالى على لسان سيدنا لوط
 (عليه السلام) مستغنياً من الحالة الظلمية
 والجاهلية التي وصل إليها قومه: (.. أليس
 منكم رجل رشيد) (هود/ ٧٨) .

التعريف بالرشد لغة:

جاء في القاموس المحيط عن ملادة
 (رشد) بمعنى : اهتدى، استرشد: طلب
 الرشد: فهو راشد ورشيد، وأرشد الله: أي
 هداه، وفي الحديث الشريف ((وارشاد
 الضال) أي: هدايته الطريق. وفي الحديث
 أيضاً : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
 الراشدين من بعدي)) . والرشد: نقيض
 الغي، ورشد يرشد، رشداً: نقيض الضلال.
 قال تعالى: (لعلهم يرشدون) (البقرة/ ١٨٦)
 والإرشاد: الدلالة والهداية. والمرشد:
 الواعظ، والمرشد: المقاصد، بمعنى مقاصد
 الطرق. والأرشد: الأكثر رشاداً، ورشد
 ومرشد ورشيد ورشاد ورشدي: أسماء قلل
 الرسول (صلى الله عليه وآله) لرجل: ((ما
 اسمك؟ قال: غيَّان، فقال بل رشدان)).
 وفي القرآن الكريم على لسان
 سيدنا موسى (عليه السلام): (ويا قوم

الرشد في

المفهوم

الإسلامي

بقلم الباحث :

راتب عبد الواحد

اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد) (غافر/ ٣٨) :
 أي : أهدكم سبيل القصد، وهو سبيل الله
 عز وجل الذي يخرجكم عن سبيل فرعون،
 الذي فيه الضلال والضياع، وفيه الظلم
 والظلام؛ (وما أمر فرعون برشيد)
 (هود/ ٩٧) وقال بعضهم: الرُّشْدُ أَخْصُ من
 الرُّشْدِ، فإن الرُّشْدَ يُقَالُ في الأمور الدنيوية
 والأخروية. والرُّشْدُ يُقَالُ في الأمور
 الأخروية لا غير. والراشد والرشيد يُقَالُ
 فيهما جميعاً، قال تعالى: (أولئك هم
 الراشدون) (الحجرات/ ٧)

التعريف بالرشد اصطلاحاً:

الرُّشْدُ: كمال العقل وسداد الرأي،
 أو الفعل، وحُسْنُ التصرف.
 قال تعالى: (فإن أنستم منها رشداً)
 (النساء/ ٦) . الرشد المؤنس من اليتم.

التعريف به في القانون:

هي السن التي إذا بلغها المرء
 استقل بتصرفاته.
 وفي الاقتصاد وترشيد الإنفاق :
 حُسْنُ القيام على المال وتوجيهه في خير
 سبيل.

من علامات الرشيد:

- ١ - الحلم والأناة: توأمان ينتجهما علو
 الهمة.
- ٢ - الصبر عند المصائب وعدم الجزع
 في الشدائد.
- ٣ - التحلي بالأخلاق الفاضلة: كالصدق
 والأمانة والحياء والسخاء والكرم

- والاستقامة . قال الإمام علي (رضي
 الله عنه) في نهج البلاغة: (التقى
 رئيس الأخلاق) !
- ٤ - القناعة وعدم الطمع بما في أيدي
 الناس (الزهد) .
- ٥ - العفاف والشكر، والورع عن محارم
 الله عز وجل.
- ٦ - التوكل على الله تعالى بعد التعقل
 في الأمور.
- ٧ - العفو عند المقدرة والإحسان
 للمسيئين الذين يستأهلون ذلك، لا
 اللئام؛ وصنع المعروف للعالمين.
- ٨ - الإتيان بالعدل والوسطية في كل
 الأمور.
- ٩ - نصرة الحق وأهله والوقوف بوجه
 الظلم وأهله.
- ١٠ - مصاحبة ذو الفضائل ومجالسة
 العلماء ومناقشة الحكماء وأهل
 الكمالات . قال الإمام علي (رضي الله
 عنه) لعامله الأشتر النخعي: يا أشتر
 أكثر من مجالسة العلماء ومناقشة
 الحكماء!!
- ١١ - الإيمان بالله تعالى والعمل بأحكام
 الشريعة الإسلامية (فمن اهتدى بهدى
 الله أرشده) .
- ١٢ - حكيم في كل أموره وتصرفاته.
- ١٣ - المشورة والحوار ركنان أساسيان
 في حياته. يقول سيدنا علي: (في
 الاستشارة عين الهداية) .
- ١٤ - يتسع قلبه للرأي الآخر طالما
 صاحبه غاية الموضوعية والوصول
 إلى الحقيقة.
- ١٥ - يبحث دائماً عن الحقيقة وعن الخير
 ليسلك دربهما ويدل الآخرين إليهما.

في عقله وتفكيره حيث يهيمه ويشغله إدراك عاقبة أمره ومصيره وإلا ما أجهد نفسه بالبحث عن الحقيقة ولا سلك طريق الفلاح والنجاح (فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً) (الجن/١٤)

١٦- يتفقد أحوال أرحامه، ويصل الم مقطوع منها، ويعينهم على مصائب الدهر، لأن صلة الرحم تدر النعم وتدفع النقم، وتنمي العدد، وتحرس النعم، وهي من أفضل شيم الكرام.

موقف الأنبياء والصالحين من

الرشاد؟

رغم أن سيدنا موسى (عليه السلام) كان عالماً ونبيّاً، إلا أنه شعر بنفسه أنه بحاجة إلى المزيد من العلم والخبرة وفهم سنن الأمور والإحاطة بعواقبها، لأنه فوق كل ذي علم عليم: (وفوق كل ذي علم عليم) (يوسف/٧٦) لذلك طلب من العبد الصالح - الخضر (عليه السلام) أن يعلمه المزيد مما عنده ويفتقده، لكن العبد الصالح كشف له أن ذلك يحتاج إلى سعة في الصبر عالية وأن موسى (عليه السلام) يفقد ذلك، قال موسى (عليه السلام): (هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً) فقال الخضر (عليه السلام): (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً؟) (الكهف/٦٨)

أما الذي لا يبحث عن الحقيقة وينحرف عن طريق الله المستقيم ويترك الوسائل الموصلة إليه كالكتب السماوية والرسل والعقل والعلماء، ولا يتفكر بآيات الله في ملكوته ولا يتفكر بآيات الله في نفسه، فمن أين يحصل على الصواب والرشاد؟ (ومن يضل الله فلن تجد له وليا مرشداً) (الكهف/١٧)

وقال تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه

موقف الجن من الرشاد؟

إن الجن اعترفوا - كما أورد القرآن الكريم- أنهم قاصرون عن معرفة مراد الله بالنسبة لأهل الأرض من البشر ومن خلال هذا الاعتراف نستدل على أن أحد معاني الرشد هو الخير الذي بعكس الشر، قال تعالى: (وإنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً) (الجن/١٠)

وكذلك الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أخبر أصحابه وأمته بأنه لا يضمن ولا يملك لهم الضر ولا الخير، لأنهما بيد الله عز وجل فهو النافع وهو الضار: (قل لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً) (الجن/٢١).

(وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير) (يونس/١٠٧).

وأما الجن لما سمعوا آيات القرآن الكريم تتلى على لسان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بهرتهم آياته، واعترفوا بأنه يهدي إلى طريق الخير والصواب والحقيقة، قال تعالى مسجلاً هذا الاعتراف: ((إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرشد فأمانا به ولن نشرك بربنا أحداً) (الجن/٢) وأن الذي يسلم الله ويستسلم للحق باحثاً عن سبيله فهو الراشد الناضج

الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد (فصلت/ ٥٣)

وأما أصحاب الترف، وهم الفتية الذين آمنوا بربهم وزدناهم هدى فكانوا يدعون ربهم دائماً بقولهم: (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً) (الكهف/ ١٠)

والداعي المؤمن لا يهتم هداية نفسه ولا إصلاحها فحسب، بل يهتم إنقاذ الناس من الفساد والفوضى والظلام إلى طريق الاستقامة والسلام: وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (غافر/ ٣٨)

وفي موضع آخر يبين الداعية الراشد طريقه ناصحاً قومه: (وما أهدكم إلا سبيل الرشاد) (غافر/ ٢٩)

موقف الرسول من الرشدة؟

قام الرسول (صلى الله عليه وآله) بتعليم الناس وتربيتهم على الحكمة والرشد من خلال تعليمهم للقرآن وأحكامه ومن خلال حركته وممارساته ومواقفه وتجاربه، لكن الصحابة الكرام لم يكونوا كلهم على مستوى ذلك أولاً: لاختلاف العقول وثانياً: لاختلاف الطباع وثالثاً: لاختلاف الذكاء ورابعاً: لاختلاف البيئة المحيطة بكل صحابي وخامساً: لاختلاف الزمن بين صحابي تقدم بالإيمان وسبق إلى الإسلام وبين آخر تأخر في إسلامه وإيمانه لسبب أو لآخر وسادساً: لوجود تيار جاهلي ومعادي يحرك ضعاف الإيمان والإسلام، ويشوش عليهم دربههم وطريقهم وعلى رأسهم المنافقين الذين قادوا حركة الردة أو

كانوا من تياراتها الأساسية المضادة لتطبيق النهج الإسلامي وتجزيره في المجتمع بجميع أبعاده الثقافية والاقتصادية والسياسية والقضائية والعديلية، ولكن هذا لا يخلو من وجود أفراد من الصحابة الكرام يعيشون حالة الرشد الإسلامي بأبعاده كافة غير أن ذلك لم يكف لتكوين أمة راشدة وهذه حقيقة ينبغي الاعتراف بها أولاً، لتكوين مجتمع الرشد. إن وجود حاكم راشدي لا يكف لانتاج مجتمع راشد، فلا بد أن يكون العالم المسلم راشدي، وأن تكون الأم المربية راشدة والمرأة والرجل والطبيب والمهندس والتاجر والصناعي والفلاح والطالب والعسكري والاقتصادي راشدون.

لقد ترك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نهجاً راشداً متمثلاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة (أقواله - أفعاله - تقريراته) كما ترك نماذج إنسانية فردية راشدة متمثلة بالخلفاء الأربعة (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) وجميع آل البيت عليهم السلام وهم (فاطمة الزهراء والحسن والحسين) وبعض الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) أمثال (عمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري وأبو الدرداء وأنس بن كعب)، وفي هذا المجال يشهد الرسول (صلى الله عليه وآله) لأبي الدرداء بقوله: (إن لكل أمة حكيماً، وحكيم هذه الأمة أبو الدرداء).

ويشهد لسيدنا عمار بن ياسر بقول: (ابن سمية - عمار - ما عرض عليه أمران قط إلا اختار أرشدهما)

وقد سُمي الخلفاء الأربعة بالراشدين لأنهم كانوا يستشيرون قبل أن يحكموا، أي يرجعون إلى أهل الرأي

والمشورة كالإمام علي (عليه السلام) وكل حكيم هو راشدي في طبعه!

والرسول أوصى المسلمين قبل وفاته بأن يلتزموا بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وأوضح أنهم يتصفون بالهداية، حيث الهداية توصل إلى الحق وطريقه: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ).

وفي حديث آخر يقول الرسول: (تركت فيكم أمرين ما إن تمسكن بهما لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي آل بيتي)

إن الضلال عكس الرشاد، والضلال يعني الاحتراف والضياع، بينما الرشاد يعني الاستقامة والوعي والإدراك .
يعني أن يعرف الإنسان (ربه) ويعي (ذاته) ويدرك (ما حوله) ويبصر (عاقبة أمره) !

الرشد في عصر الخلفاء:

لكن المسلمين - وهذا من دواعي الأسف - لم يكونوا على مستوى هذا النهج الراشدي وهذه النماذج الراشدة، لذا نجد عقب وفاة الرسول بدأ نوع من النزاع السياسي بينهم حول الخلافة ثم جبر النزاع بحكمة من بعض الراشدين وإخلاص مفعم بالإيمان وشعور كبير بالمسؤولية من قبل آل البيت بلغ ذروته عندما قال الإمام علي (والله لأسألمن ما سلمت أمور المسلمين) إنها رؤية عميقة للواقع ولطبيعة الموقف. وحين بدأت حركة الردة حملت السيف ضد المواطنين فأفسدوا في الأرض فأضطرت الحكومة (الراشدية) للدفاع عن مواطنيها

من القتلة فحاربهم حتى قضت على شوكتهم، ويتميز عدم راشدية الأمة بأمر آخر هو حمل السيف ضد الشرعية الراشدة المتمثلة بخلافة الإمام علي (عليه السلام) . إن تياراً إسلامياً كبيراً يمثل قطاعاً واسعاً في المجتمع الإسلامي الفتى لم يتجذر الإسلام في فكره وطبعه وممارسته، فكانت العصبية للعائلة والمصلحة الدنيوية هي السائدة، وليس للنهج الراشدي.

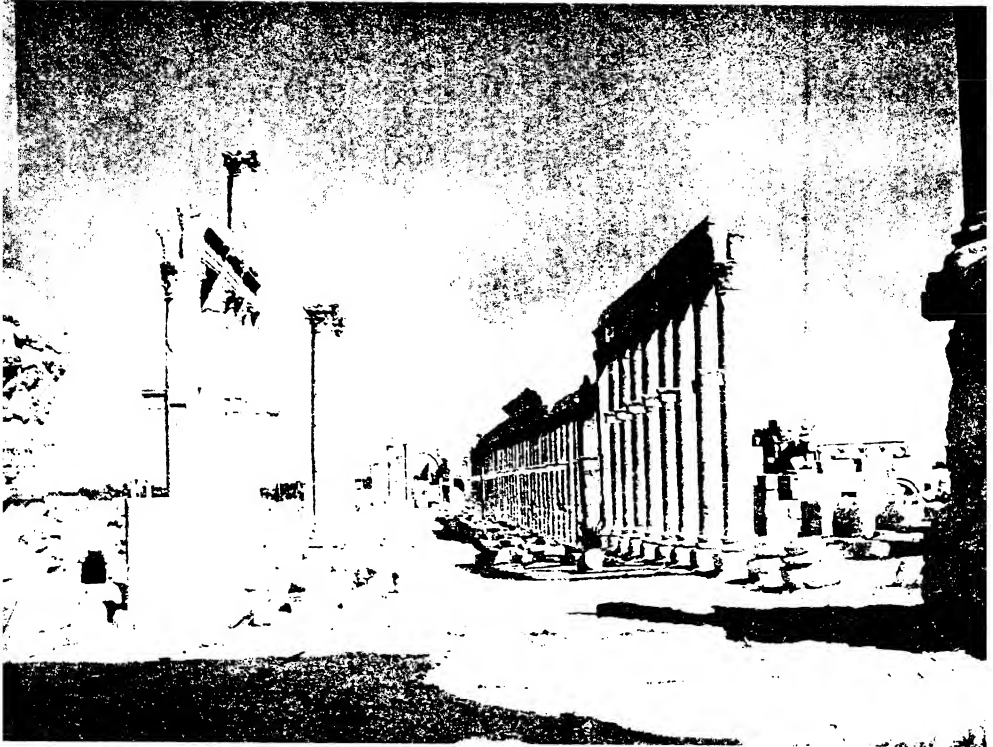
أخذ هذا التيار ينمو على حساب الراشدية فساد الاستبداد بفروعه المختلفة على مجريات المجتمع الإسلامي (قصة وقاعدة) ولكي يستمر خطه اتخذ الاستبداد السياسي والاقتصادي ثوباً دينياً (فقهاء السلاطين) ليبرر شرعيته، ويخفف من ظهور خطره على القاعدة الواسعة من الجماهير.

إنها تجربة صعبة مرَّ بها المجتمع الإسلامي وعاشها المسلمون بعيداً عن روح الشورى وعن روح الراشدية.. ولكن يمكن توظيف هذه التجربة لصالح الحركة الإسلامية، فنتجاوز سلبياتها ونؤكد إيجابياتها ونطوّر هذه الإيجابيات من خلال التجارب الإنسانية الواسعة التي مرت بها جميع الأمم المتحضرة والخيرة، ومن خلال المخزون الفكري والثقافي لحكماء المسلمين وفقهائهم الكبار والأحرار. على مبدأ: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق؟) (العنكبوت/ ٣٧) ومن خلال مبدأ التعاون: (وتعاونوا على البر والتقوى) ومبدأ الافتتاح: (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) .

والحمد لله رب العالمين

سورية

الأوابد تحكي



والتاريخ .. يزهو

وزارة الإعلام

المؤسسة العربية للإعلان

سورة

التاريخ. المحرر
الجمال. الشاعر
تفتح ذراعيها لاستقبال
من كافة أنحاء العالم



مع كتابات رابعة العدوية

طالعوا صباح

كل سبت

الثقافة الإسلامية

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق

مؤسسها ورئيس تحريرها

مطحة عكاش

الجمهورية العربية السورية - برج دمشق - ضفة بردى - ط ٧ - رقم ١٨
ص . ب / ٢٥٧٠ - هاتف ٢٣٢٣٠٦١ - فاكس ٢٣٢٠٨٨٧

السعر : ٢٥ ل . س